كتاب
الجديد

صوت مصر

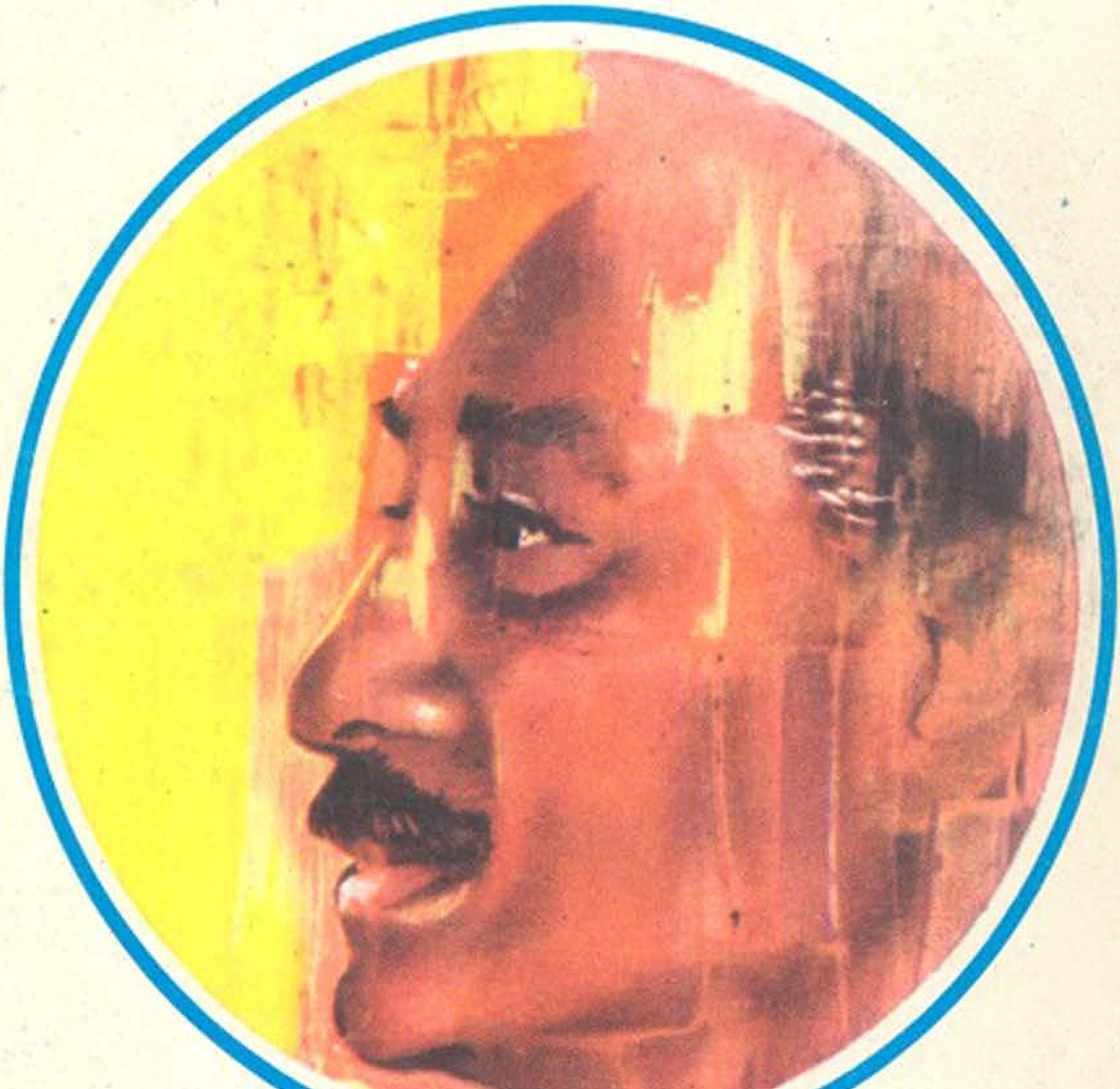

نحو بعث جديد

بقلم: محمد أنور السادات

وزارة الثقافة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

كتاب الجديد : صوت مصر

سلسلة شهرية تصدر عن

مجلة الجديد

رئيس التحرير : د. رشاد رشدي

العدد الرابع

٢٣ يوليو ١٩٧٥

نحو بعث جديد

بقلم: محمد أنور السادات

« الثقافة هي التي تحدد مقدار وعي الفرد ومن ثم تلزمه بشق الطريق نحو مستقبله وفي الحـــدود التي تحقق مصالحه وحرياته وآماله .. بل وحقوق ومصـــالح وآمال الجماهير » .

انور السادات

نشر هذا الكتاب لأول مرة فى عام ١٩٦٣ والجديد يسعدها أن يسمح لها السيد الرئيس باعادة نشره فى هذه المرحلة الهامة من تاريخنا التى تشهد اعادة بناء الحـــاضر والمستقبل ..

مشاعر

شيبا

وشبانا ·· نساء وأطفالا ·· كهولا وغلمانا ·· من أقصى الغرب فى مراكش الى أقصى الشرق فى أندونيسيا ومن أقصى الشمال فى روسيا الى أقصى الجنوب فى أفريقيا ·· من كل تلك البقاع والاصقاع تتجمع مئات الألوف حول البيت الحرام ·

لبيك اللهم لبيك ·· لبيك لا شريك لك ·· ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ·

ويردد الجميع هذا النداء · كل بلغته وعلى شاكلته ·· لكنهم جميعا يلتقون فى لغة واحدة هى الايمان بالاله الحبيب الأعظم الواحد الأحد ، مصدر كل شيء ، وباعث الروح والحياة ، ومقدر الموت والنشور ·· ذلك الحى الباقى الذى لا يموت ·

أخذت أطوف الكعبة مع هذه الجموع وأنا ذاهل عن نفسي ، وعن وجودي وعما حولى .. ثم خرجت مع الزملاء لأسعى بين الصفا والمروة مع مئات الالوف يسعون ويهرولون وأنغامهم فى الدعاء والتهليل تملأ الجو قداسة وطهرا وتسبيحا ..

ولم أفق وأنا أقف فى شرفة الفندق فى مكة ، البلد الحرام ، وكأنما كانت ملابس الاحرام تمنحنى التجديد والانطلاق ، ورأيتنى أعود بذاكرتى الى تلك الأيام الأولى للاسلام فى مكة عندما نهض محمد صلى الله عليه وسلم يدعو قومه الى الدين الجديد .

وكان هذا ايذانا ببدء أروع قصة فى تاريخ الكفاح والبطولة سطرها التاريخ وشهد بها الاعداء قبل الأصدقاء ! .

لقد وقف محمد وهو فرد ضد بلد بأكمله ، بأشرافه ، وعصبياته ، وعنجهية أهله وهم سادة العرب .. تحداهم جميعا ، وانتصر عليهم جميعا لأنه آمن بربه ولم يفقد لحظة واحدة ثقته به ..

والبشر هم البشر .. فى كل زمان ومكان .. فما كاد محمد يجهر بدعوته حتى ظنوا أنهم يستطيعون أن يغروه فعرضوا عليه المال حتى يصير أغنى القوم ، ولكن محمدا رفض .. وعرضوا عليه الامارة لكى يصبح سيد

القوم ولكن محمدا يرفض ويرفض ‥ ولا يرضى الا أن يعود هؤلاء القوم الى نفوسهم والى ربهم بالحق والاقتناع

وتمادى القوم فى استنكارهم صلفا وازدراء ·
أيذرون ما كان يعبد آباؤهم الأولون لذلك الذى يدعو اليه شاعر مجنون ‥ ؟!

وكما قلت ان البشر هم البشر دائما فى كل زمان ومكان ، فان القوم لم يهادنوا ذلك الداعية الجديد ، وانما ناصبوه العداء من أول يوم برغم أن أغلبيتهم لم تتفهم كنه هذه الدعوة · بل لم يحاولوا أن يفكروا ولو قليلا وبين أنفسهم فيما ينادى به ، ويدعو اليه ‥

فالبعض منهم يستنكر من يرتد عن دينه ودين آبائه لأن هذا مما يتعارض مع كبريائه بين القوم ‥

والبعض الآخر يخشى ان تنجح هذه الدعوة فتسبق قبلية محمد فى الشرف ، ويصبح محمد شيئا مذكورا ‥

هو الحقد ‥ وهو الحسد ‥ وهى البغضاء ، تلك التى توسل بها القوم فى كفاحهم ضد محمد ·

وكان لا بد أن ينتصر محمد لأن دعوته هى الحق ، وهى الحب ، وهى الاخاء الى الحد الذى تحب فيه لغيرك ما تحبه لنفسك ‥

لقد أخذت أبحث فيما حولى من جبال عن معالم ذلك

التاريخ المجيد يوم أن عذبوا أتباع محمــد فما لانوا ‥ وقتلوهم فما خافوا ‥ ولجأوا أخيرا الى نبذ محمد وأتباعه في شعاب مكة نيفا وثمانية عشر شهرا فصمد محمد واشتد وتصدعت جبهتهم ثم انهاروا ‥

فلما يئس القوم أجمعوا أمرهم على قتل محمد لكى يستريحوا من هذه الفتنة التى ألمت بهم ‥

وهاجر محمد الى المدينة ‥

ومن هناك بدأ القتال من أجل الدعوة ٠

ولقد رأيت مكة ومعالمها،وزرت المدينة وماحواليها ‥ وحين وقفت الى قبر الرسول أخذت أناجيه هو وأبو بكر وعمر بما رايته من أحوال المسلمين ٠

ناجيتهم بحديث نفس وعت التاريخ ، وترى اليوم ما يمر به المسلمون من محن وآلام ‥

نجـــوى

حدثتك أيها المواطن عن مشـــاعرى وأنا أطوف بالأرض التى أنجبت رسول المســـلمين ··· وحدثتك عن دعوته ، وعن العقبات التى وضعها قومه فى طريقه لـكى يدفنوا الدعوة الجديدة فى رمال بلادهم الشاسعة ، ثم كافح محمد ·

واستمر يكافح من أجل مستقبل قومه الذين حاربوه ·· من أجل أن يعيشوا فى كنف العدالة والحق والعمل ، وأنهيت حديث الأمس بوقفتى أمام قبر المناضـل العظيم نبينا عليه السلام ··

وناجيته ·· بحديث نفس وعت التاريخ فامتـلأت بالايمان الراسخ بالدين الحنيف ·· وبالمرارة والأسى لمـا وصل اليه أتباع هذا الدين الذى كان كفيلا بأن يهدينا ـ

لو اتبعنا خطـوات محمد ـ الى طريق العــــدل والحــق والعمــل ٠

ناجيت محمدا النبى وناجيت عمر العظيم الجليـل وأبا بكر الأمين وارث الأمانة وحاميها ٠٠٠

كنت ساعتها فى وقفتى أمام القبر الطاهـر ، أكاد أرفع صوتى فى غمرة مناجاتى صارخا ٠٠ يا محمد ٠٠ يا رسول الهدى ٠٠ يا قاهر الظلم ٠٠ يا رافع لواء الحق فى أرض شاع الجفاف فى رمالها ٠٠ مثلما سرى فى قلوب أهلها الذين أضمروا لك الشر ٠٠ يا نبى الله ٠٠ نحن من حولك جئنا من أطراف الدنيا ٠ من سهول الروسيا ومن هضاب آسيا ومن أعماق أوربا ، ومن أفريقيا نحمـل فى قلوبنا الايمان بربك وبك وبرســالتك ٠٠ وبكلمتك ٠٠ وأنت الذى حددت لنا ـ جميعا ـ معالم الطريق ٠٠ أشرت لنا اليه ، وحدثتنا عنه ، وكنت قد مضيت فيه منذ مئات السنين حتىوصلت بقومك الى نهايته ٠٠ ثم ماذا حدث للأبناء والأحفاد ٠٠ لذرية المسلمين !؟ لقد ضلوا الطريق ٠٠ فتهاووا فى شعاب الأرض يستبد بهم الظلم والعرى والجوع ٠٠٠

كنت أنتفض فى مناجاتى ٠٠ بالأسى !!

كنت اقف أمام قبر أقوى الرجال جميعا وأقدرهم ٠٠ كنت أقف أمام قبر رسول قاد شعبا الى الحق والعـــدل

والعمل ‥ شعبا كان قبل – ظهوره – يعيش فى صحراء لا ماء فيها ولا شجر ‥ لا علم فيها ولا عتاد ‥ لا رزق فيها ولا صدق ‥ لا حق فيها ولا عدل ‥ بلاد تسجد للحجر وتسبح بحمد الطغيان ويربط فيهـا البشر على بطونهم من الجوع ‥ بلا قطرة الماء فيها ثروة ‥ وظل الشجرة فيها نعيم مقيم ! ٠

وأسرح فيمناجاتى الى أيام النضال الجليل فى سبيل البعث ‥ بعث شعب كان هذا حاله والنهوض به الى حد الانتصار على كل الأعداء ‥ فى آسيا وفى أفريقيا وفى أوربا ! ! ٠

كيف حدث هذا !؟ ٠

أو قل كيف أصبح الموتى – أقصد شعب محمد – أحياء ٠

عمالقة يشيع العدل بينهم والحـرية فينطلقون من فوق رمال بلادهم القاحلة الى حيث بلاد فيها حضـارات وفيها أباطرة وجيوش مثل النمل ٠ يضربون باسم الحق ‥ وينادون بأن جاء الحق وزهق الباطل فتفتح أمامهـم الأمصار ‥ وتنهار أمامهم امبراطوريات أصيلة ثابتة ‥ وهم الحفاة ، وهم الجياع ، وهم الذين لا يقرأون الكلمة ولا يكتبونها ‥

وكانوا لا يحملون فى مواكبهم الزاحفة الى شعاب

الأرض فى آسيا وافريقيا وأوربا عتادا أو سلاحا أو جيوشا كالنمل ‥ لا يحملون فى زحفهم على الدنيا سوى شىء واحد ملأ رؤوسهم ‥ يحملون رسالة محمد ‥ وما كان أقواها من رسالة ‥ انها دعوة الى سحق الظلم والسخرة والاستبداد والانحلال ‥‥ دعوة انسانية هدفها هدم كل القلاع التى تقف فى طريق البشر جميعا وتعوق تقدمهم ‥

وأظل وأنا فى وقفتى أمام قبر الرجال وأقدرهم أسرح بخواطرى ‥ فأذكر يوم المدينة العظيم ‥ اليوم الذى تم فيه التآخى بين الأنصار والمهاجرين وبعدها بدأ الزحف الكبير ‥ زحف الحق على الباطل ! وكيف كان ذلك ؟ ‥ البدو الحفاة الذين يضعون الحجارة على البطون ينقلون الى حيث جيوش كسرى فى فارس فيبيدونها ثم يقوضون صرح امبراطورية الفرس الكبيرة ‥

ويحطمون جيوش الرومان ويحطمون أعمدة امبراطورية ظلت راسخة فى أعماق الأرض لا تتزلزل ولا تنهار أمام أقوى الجيوش وأعظم الحملات ‥ لكن أقدام البدو الجياع تدوسها وتقهرها !؟

وكيف كان ذلك ‥ !؟

انتصار الحق على الباطل ‥

ان محمدا كان يدعو الى الحق ‥ والحق هو أفتك سلاح فى يد الانسان ‥ الحق هو الذى قهر امبراطورية

الفرس لانها لم تكن قائمة على عدل أو حرية أو مساواة ٠٠ وقهر امبراطورية الرومان لأنها أيضا كانت تقوم على الظلم والاستعباد والبطش ببنى البشر ٠٠ وأيضا على السلب والاستغلال ٠٠

المسلمون اذن انتصروا منذ تكتل الأنصار والمهاجرون ومضوا باسم الحق الى بقاع الأرض يحملون أعظم دعـــوة وأروع منطق الى المظلومين فى آســـيا ٠٠ الى العبيد فى أفريقيا وأوربا ! ٠٠

وعلى أعمـــدة الحق والعـــدل أقام المســـلمون امبراطوريتهم ٠٠

وما كان أقواها من عمد ٠٠ وما كان أصلبها !

فكيف انهارت ٠ !؟

كيف انهار الحق ٠٠ ودفنت العدالة ٠٠ ومحق الخير ٠٠ فأصبحنا نحن المسلمين فى آسيا وفى أوربا وفى أفريقيا يستبد بنا الظلم وتفترسنا الحاجة ٠ ويقهرنا الغزاة على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم !؟

أهم على حق ٠٠ ونحن على باطل ٠٠٠

أهم رسل عدالة ٠٠ ونحن رسل شر ٠٠٠

أم ترانا قد هزمنا فى أقواتنا وفى علمنا وفى نهضتنا لأن هناك من هم أحق منا بالحياة ٠٠

لسنا على باطل لأننا نحن المسلمين نؤمن برسالة

نبى بعثه الله لينقذ كل من ظلم فى قوته وفى عنمه وفى حريته وفى ايمانه ··

ولسنا رسل شر لأننا لا ندعو الى استعباد أو استغلال أو بطش ··

وليس هناك بشر أحق بالحياة من غيرهم على الاطلاق ··

اذن ·· كيف أصبح حالنا كما هو عليه الآن ··

كيف جعنا وتعرينا وخضعنا لكل المظالم ··

اننى كنت أمام قبر أقوى الرجال وأقدرهم أحاول أن أعرف ··

وخواطرى تتدفع هنا وهناك ·· ورأسى يدور ·· وقلبى تتلاحق ضرباته كأنى كنت فريسة لكابوس رهيب ··

فأرنو بعينى الى القبر الطاهر وأرى الأمل ·· مضيئا ساطعا كالشهاب ·· الأمل فى الحق ··

كنا .. فأصبحنا

كيف انقلب حالنا ـ نحن المسلمين ـ من يسر الى عسر ؟!

هذا هو السؤال ..

.. كنا فاصبحنا . !!

كنا نزحف نحو المستقبل الهائل المضىء نردد صيحة محمد ودعوته الى العدل والحق والعمل ، وتنهار تحت أقدامنا العارية امبراطوريات فى الشرق والغرب ، ويولى أمامنا الطغاة ويستسلم لنا دعاة البغى والعدوان . ونمضى وراء محمد من نصر الى نصر نطوى بين ضلوعنا ايمانا برسالته ، ولم تكن رسالته الا ثورة انسانية أراد الله أن تقوم لتحرر البشر من الذل والحاجة والبطش . ! لتعطى المحروم ، لتهدى الضال ، لتطعم الجائع ، لترعى اليتيم ..

لتنظم علاقات الانسان بالأرض والسماء ٠٠ لتحذره من الوهم ٠٠ من الجهل ٠٠ من الجمود ٠ !

هذه هي ثورة محمد النبى الذى أراده الله أن يقودها لتتم المعجزة ، وقد تمت منذ مئات السنين وشهد العالم كيف حررت دعوة محمد الشعوب وعصفت بالاستبداد والمستبدين ٠

هكذا كنا ـ نحن المسلمين ـ نعيش فى كنف الحق والعدل والعمل ٠٠ !

فلماذا أصبحنا ـ ونحن الآن فى كل شعاب الأرض ـ جياعا . جهلة ، مرضى ، مستعبدين !؟

مرة أخرى هذا هو السؤال ٠٠

اننا ـ أتباع محمد ـ يتحتم علينا فى هذه الأيام أن نندفع اندفاعا إلى التأمل فى حالنا ٠٠ فى تعاستنا فى شقائنا . فى جهلنا ، فى تأخرنا ٠ !!

فنحن المسلمين قد ورثنا مشعلا مضيئا باهرا كان يمكن أن يهدينا الى طريق الحق والعلم والخير ٠٠ والسلام !

كان يمكن أن نصبح لو اهتدينا به أن نقف على أقدامنا تحت الشمس عمالقة نقبض فى أيدينا على مقدراتنا وعلى رزقنا ٠٠ لا يهزمنا باطش ، ولا يسخرنا ظالم ولا نشارك الدود فى مصيره وفى حياته ٠ !

وفى بلادنا .. فى آسيا وأفريقيا وأوربا خير كثير ، وموارد هائلة لا حصر لها يمكن أن تجعل من حياتنا حلما جميلا رائعا ممتعا نعيشه فى سلام .. لا نمرض ولا نجوع ولا نتعرى ، ولا نفتقد النور !

وكان يمكن أن نحقق هذا الحلم الرائع الجميل كما حققه من قبلنا أجدادنا فى قديم الزمان ..

فلماذا لم نحقق هذا الحلم ثم قنعنا بالذل ورضينا بالتعاسة والبطش والسخرة !؟

والمشعل الباهر المضىء أورثه لنا محمد !؟

هل انطفأ ذلك المشعل فضللنا الطريق !؟

أم ترى كان أجدادنا سحرة يسخرون الجن لتحقيق المعجزات .. ونحن لا حول لنا ولا قوة . !؟

لا هذا ولا ذاك ...

فهم ـ أجدادنا ـ كانوا بشرا مثلنا .. والمشعل الباهر المضىء لم ينطفىء ... لأنه فكرة من الأفكار العظيمة التى لا تموت ولا تتبدد .. !

من اذن فعل هذا بنا .. وجعلنا نعيش فى هذه الحال التعسة ؟!

انهم فئة منا .. حكموا بلادنا فى الشرق والغرب ،

اختطفوا المشعل المضيء الباهر وأخفوه عن أنظارنا لـكى يستعبدوا ، ويبطشـوا ، ويسلبوا ، وينهبوا ثم يقـولوا للمسلمين : نحن أولياء عليكم فأطيعونا ..

ويطيعهم المسلمون فيمضى الأولياء يحكمون والدنيا لهم والآخرة لنا .. هكذا فسروا رسالة محمد ..

فالمسلم فى رأيهم من يصلى ويصوم رمضان ويخرج الشهادة من جوفه ، ويطيع أولى الأمر ..

المسلم فى رأيهم هو الذى يتعرى ويجوع ويمرض ثم يموت .. المسلم فى رأيهم هو الذى يؤمن بتفسـيرهم لرسالة محمد ، لا بتفسير محمد نفسه لرسالته .. !

ومحمد لم يقـل للناس صـلوا وصـوموا وانطقوا بالشهادة ثم موتوا ...

محمد قاد المسـلمين فى طريق العمـل ، وليس فى طريق السخرة ... محمد جاهد وقاتل وأطلق دعوته فى الأمصار ، لا ليخضع الناس للكهنوت والغيبيات والقدر.. بل ليعمل الناس وليعملوا ويعملوا ولا شيء غير العمل .. فهو ـ العمل ـ وحده الذى يعصم الناس من الضلال .. من الشر .. من الحرب .. من الفقر .. من الجهل .. من الزلل !

أما الذين اختطفوا مشعل محمد فقد كانوا أصحاب

مصالح تتعارض مع مصالح الجماهير ·· وقد شعروا أن تلك المصالح ربما عصفت بهـا رسـالة نبى الله فزوروا الرسالة !

زوروها تحت سمع المسلمين وبصرهم ·· وبالقهر والتضليـل والقوة أخضـعوا ـ المسلمين ـ لرسـالتهم لا لرسالة محمد ··

محمد الذى قال :

« لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره ، ليحتطب ويعود آخر النهار ومعه خبزه ورزق عياله خير من أن يقضى نهاره فى صيام وصلاة ! » ···

محمد اذن حقق المعجزة لأنه دعا الى العمل ·· وهم الحكام الذين اختطفوا المشعل خطفا لم يتركوا المسلمين يعملون كما أوصاهم محمد ·· من أجل رزقهم وخبز عيالهم ·· بل دعوهم الى العمل من أجـل حماية مصـالحهم ـ مصالح الحكام ـ والذود عنها والموت فى سبيلها ··

محمد كان ثائرا وهم كانوا ناعمين ··

محمد كان مناضلا ·· وهم كانوا طلاب متعة وعشاق لذة ··

محمد كان حقيقة ·· وهم كانوا وهما كبيرا ··

وكان لا بد لكى يصبح المشعل على مرأى من انظار

المسلمين جميعا ، يهديهم بعد محمد وأبى بكر وعمر وعلى أن يحمله ثوار مناضلون ودعاة عمل ·· لا دعاة كهنوت وخنوع وموت !

كان لا بد أن يقود المسلمين رجال قضوا أعمارهم فى نضال وكفاح وايمان ·· لا فى أسرة وثيرة أو فى مقاعد تحوطها السلامة والأمان ·· حتى كان يمكن أن يستأنف هؤلاء القادة المناضلون نفس الشىء ··

الدعوة الى العدل والحق والعمل ·· الدعوة الى محق الظلم لأنهم عانوه ·· والدعوة الى الحق لأنهم افتقدوه ·· والدعوة الى العمل لأنهم يؤمنون به ! ·· أما أن يأتى رجل لم يناضل ولم يكافح فى سبيل شىء على الاطلاق ، فى كل سنوات عمره · ويختطف مشعل محمد ثم يزعم أنه يريد أن ينقذ عباد الله ويهديهم الى الطريق ·· ذلك الرجل لا شك سيصنع مأساة ·· سيجعل من المسلمين أشباها له ، لا يرغبون فى كفاح أو فى نضال أو فى عمل ··

سيجعل منهم فئة تؤمن بالانتهازية والخطف مثله ، تؤمن بأن الدين صلاة وصوم وتمتمة بالدعوات وشعوذة وأفعال مجاذيب ·· وتعصب وظلام وجمود وخضوع لما هو مكتوب !!

وهذا هو السبب فى ضياعنا · نحن المسلمين ··

تركنا فئة منا تخطف المشعل الباهر المضيء لتنهب وتسلب وتحكم ، ثم قنعنا فى دنيانا بالصلاة والسلام على محمد ·· ومحمد برىء منا ·· لأنه دعا الى الاحتطاب من أجل الخبز ··

دعا الى العمل ثم فضله على الصـلاة والصـوم ·· وكانت هذه الدعوة تكفى لهدايتنا الى الطريق ·· !

تكفى لكل نتكتل من أجل أهدافنا ··

كانت تكفى لكى نعرف أن الدين نضال وليس كلاما يخرج من فم رجل مجذوب يريد أن يتسلق الى أعلى فوق أكتاف المسلمين ·· !

وهكذا انقلب حالنا من يسر الى عسر !!

كل هذه الخواطر كانت تتدافع فى رأسى وأنا أقف أمام الأمل ·· أمام قبر أقوى الرجال وأقدرهم ·· نبينا المناضل الثائر الجليل ··

ثم لم أكد انتهى من مناجاتى حتى بدأت أستعرض مستقبلنا ·· نحن المسلمين فى بقاع الأرض ··

ان المستقبل يبدو لا شك مضيئا أكثر من الماضى ·· فلم يحدث من قبل أن أصبح اتحاد المسلمين وتكتلهم فى آسـيا وأفريقيا وأوروبا أقرب الى التحقيـق منه فى تلك الأيام التى قضيتها مع أخى جمال عبد الناصر فى الأراضى المقدسـة ·

ان جمال يؤمن كما تكلم فى كتابه « فلسفة الثورة » بأن ملايين المسلمين فى جميع الأمصار يمكن أن يكونوا قوة لا تقهر ... وتستطيع تلك القوة أن تفرض نفسها فرضا تحت الشمس ... تأخذ حقها فى العلم وفى الرزق وفى الحياة ... فى العمل ..

ثم بعدها يتحقق الحلم الرائع الجميل الذى عاش فيه أجدادنا .. ثم استطاعوا بنضالهم أن يحققوه !

ان تكتل المسلمين وتشاورهم فى أمورهم ونضالهم من أجل حل كل مشاكلهم أصبح أمرا قريب المنال .. بعد أن عرف المسئولون فى بعض بلاد المسلمين السبب فى مأساتهم ..

وانى بعد أن سمعت بأذنى الأحاديث التى دارت بين أقطاب بعض البلاد الاسلامية منذ أيام أستطيع أن أجزم بأن عصر اختطاف المشاعل التى تركها لنا محمد قد ولى ولن يعود ... سوف تصبح المشاعل فى أيدى المناضلين المخلصين الذين يؤمنون بالعمل لا بالموت !

ولم يحدث من قبل ان دار حديث فى أرض النبى عن أحوال المسلمين مثلما حدث فى تلك الأيام الرائعة التى قضيناها فى الحجاز ... تكلم الملك العظيم سـعود مع أخى جمال وكان الحديث خطيرا ورب الكعبة ...

تكلم سعود وجمال عن تونس ومراكش واستعرضا

تطور قضايا الشعبين الشقيقين فقالا أنهما لا يستريحان الى انصاف الحلول ·· وتحدثا عن الحكم الذاتي الذى يريد الاستعمار أن يمن به على المسلمين فى تلك البلاد ·· وقال أخى جمال اننا فى مصر قد جربنا هذا النوع من الحكم·· فعندما شعر الاستعمار بقرب انفجار المرجل اتفق مع حكامنا على منح البلاد جزءا من الحرية ··· فماذا كانت النتيجة !؟

لا شيء ·· فالاستعمار يمضي فى ظل الحكم الذاتي يمتص الدماء ويهدر الحقوق ··· وله فى أعوانه من حكام البلاد الانتهازيين الخونة نصير كبير !

وتونس ومراكش لا بد أن تحصلا على استقلالهما كاملا بلا قيود ··· ويشفق جمال ويشفق سعود أن تكون مسألة الحكم الذاتي فى تونس ومراكش هى نهاية المطاف !

ولا يكاد الحديث بين سعود وجمال ينتهى بعد أن أفاضا فى التشاور حول مأساة مراكش وتونس حتى ينتقل بهما الحديث الى المسلمين فى الصومال ·· والصومال ليس بلدا اسلاميا صرفا ·· ولكن المسلم فى الصومال هو مثل المسلم فى مصر والحجاز وفى تونس وفى كل مكان·· حقه فى الحرية يجب ن ينتزع من أيدى الغاصبين ·· وجمال وسعود يريدان معاونة المسلم الذى فى الصومال ·· ومعاونة المسلم الذى فى تونس ·· ومعاونة المسلم الذى فى آخر الدنيا ···

ثم يلتقي جمال بمحمد علي رئيس وزراء باكستان ، وكان لا بد أن يسأل جمال عن أحوال المسلمين هناك ·· ويصر محمد علي أن يزوز جمال بلاده ليرى كيف نهضت ، بعد أن خرج المستعمر وأصبحت باكستان دولة مستقلة·· ويعتذر جمال بكثرة مشاغله في الوقت الحاضر ·· ويصر محمد علي ويقبل جمال على أن تكون الزيارة خلال رحلته لحضور مؤتمر جاكرتا ··

وبحث جمال أمور المسلمين في كل مكان مع وفودهم ·· في الملايو ·· وفي أندونيسيا وفي المغرب وفي جنوب الجزيرة ، وفي تركستان وفي أفغانستان ومع وفود من قلب أفريقيا ومن على شواطئها ··

كانوا جميعا يرون في جمال أملا جديدا كبيرا وتحدثوا معه وأفاضوا ··· وتحدث هو وأفاض ···

وبعد ···

على المسلمين في كل بقاع الأرض أن يأملوا في المستقبل ·· فسوف يجدون سبيلهم الى العدل ، والحق ، والعمل ··· لأن مأساتهم أصبحت تحت أعين المناضلين الثوار أتباع محمد ، سيد المناضلين وراعيهم ··· !

وهم لن يخطفوا المشعل ليطفئوه ··· بل سوف يرفعونه عاليا لكي يضيء للملايين الطريق ···

الأمـــــل

ان الحديث عن الخواطر التى تدافعت فى رأسى وأنا أتنقل فى أرض الحجـاز بين آلاف من المسلمين جاءوا من كل فج عميق ســيطول بى وبك أيها القارىء ...

وقد قلت لك أن المشـعل المضىء الباهــر ، الذى ورثناه ـ نحن المسلمين ـ عن سيد المناضلين الثوار نبينا محمد ، لن يخطفه أحد بعد اليوم ليطفئه فيضل المسلمون الطريق من جديد ...

بل سوف يأخذه مناضلون ثوار كافحوا من أجـل الحق والعدل والعمل ، ليرفعوه عاليا حتى تراه الملايين فتمضى فى الطريق مهتدية بنوره ...

واليوم ، وقبل أن أمضى فى الحديث عن الأمل الذى انبثق ـ أخيرا ـ أمام المسلمين وهم يؤدون فريضة الحج هذا العام ... أود أن أقول اننى شاهدت مولد معجزة !!

وكنت قبل أن أشاهد مولدها قد شاهدت وفود المسلمين الذين جاءوا من مصر ، ومن كل بلد فيها من يوحد الله ويصلى على محمد ، وقد بدت على وجوههم الحيرة الكبرى ...

كانوا حيارى – جميعا – وفى أعينهم شىء ما لمحته فحيرنى أنا أيضا !!

ما هو هذا الشىء ! ؟

ولماذا لا يفصح أصحابه عنه ! ؟

كانوا يقبلون علينا .. مسلمون من آسيا ، ومن أفريقيا ، ومن كل أطراف الدنيا .. ثم يحيطون بنا ...

ونفس الشىء الغامض كان كامنا فى كل عين التقت بها عيناى !

انهم يريدون أن يقولوا شيئا ... وخيل الى انهم يريدون وهم يحيطون بجمال عبد الناصر مرحبين ملهوفين أن يقولوا له : أيها الثائر الذى من مصر .. ماذا تصنع !؟

كانت الوجوه كلها تفصح عن هذا السؤال ... بل وكانت تفصح عن عديد من الأسئلة ... !

وكل الوجوه كانت تطفح بالمأساة !!

وجمال عبد الناصر ، كان يبدو وسط وفودهم مثل

أمل هائل انتقل من ضفاف النيل الى أرض المسلمين جميعا ـ الحجاز ـ وتحدثنا اليهم وتحدثوا الينا ... وجمال يطرق برأسه أحيانا الى الأرض ثم يرفعها الى السماء ، وفى عينيه شيء آخر يريد أن يترجمه الى كلمات يقولها للوفود الملهوفة المقبلة عليه .. الحبيبة الى نفسه ...

ومن خلال الكلمات العديدة التى خرجت من أفواه أعضاء الوفود فهمنا أنهم على وعى عظيم ..

هم قد عرفوا ـ مثلا ـ ان المسلمين .. ملايين المسلمين فى آسيا وأفريقيا وأوربا يمكن أن يمضوا ـ جميعا ـ فى طريق واحد ، يصنعون شيئا ما .. رائعا ضخما يحدد لهم مكانهم تحت الشمس وينتشلهم من تلك الهوة المظلمة الكئيبة العفنة التى ترددوا فيها منذ مئات السنين ، ثم لم يجدوا من يمد يده ليخرجهم منها .. الى النور ...

أما هذا الشيء الذى يمكنهم ـ المسلمون ـ أن يصنعوه فلا أحد منهم كان يعرف !!

كان أعضاء الوفود يحاولون بكل ما يملكون من طاقة متأججة كامنة فى نفوسهم منذ فجر الاسلام أن يحددوا معالم هذا الشيء الذى يجب ان يصنعوه ليتخلصوا من مأساتهم ، من مأساتنا جميعا !

ومن خلال الاحاديث التى دارت فوق رمال أرض

النبي ، ومن خلال الرغبة في التخلص من المأساة ، انبثق الأمل عريضا ، ســاطعا خلابا باهرا ••• انبعثت فـكرة المؤتمر الاسلامي :

وعلى مئات الوجوه التي كانت تطفح بالمأساة ربض الأمل العريض بعد انبثاقه فبدت تلك الوجوه مشرقة بل ملهوفة على تحقيقه ••

قالوا ــ جميعا ــ انهم قد عرفوا ــ أخيرا هذا الشيء الغامض الذى ظلوا يتلمسون الطريق اليه فلم يجــدوه ، ثم قالوا أن المؤتمر الاسلامي هو الطريق ، نفس الطريق الذى كانوا تائهين عنه •• تاهوا عنه فى آسيا وفى أفريقيا وفي أوروبا !

وبدأنا نشرح للوفود فكرة المؤتمر الاســلامى ••• وشعرنا أنهم ليسوا فى حاجة الى من يشرح الفكرة لهم ••

كما خيل الينا أنهم كانوا ــ فى عقلهم الباطن ــ قد هضــموا فكرته ، وآمنوا بها ثم فى غمــرة الحــيرة التى انتابتهم لم يستطيعوا الافصاح عنها •••

لقد عرفوا ــ مثلا ــ ان المؤتمر الاسلامي يمكنه أن يحرر ملايين المســلمين فى مشــارق الأرض ومغاربها من مأساة الكهانة ، تلك المأساة التى حولت حياة الملايين الى شيء كريه بغيض ثم أهدرت آدميتهم وأغلقت عقولهم •• وحالت بينهم وبين اللحاق بركب الحضارة المندفع دائمــا الى الأمام !

لقد أرهقت الكهانة الشعوب الاسلامية وحطمت امكانياتها وعصفت بها عصفا ··· وفى كل عصر مر بتلك الشعوب كان المشعوذون والانتهازيون · وطلاب الاسلاب والغنائم يظهرون بين صفوف المسلمين ، يستغلون مأساتهم الكبرى المغلقة على الفقر والجهل والحاجة فيقودونهم الى طريق الكهانة الأثيم ···

وهكذا استغل هؤلاء الدين استغلالا شائنا واتجروا به كأنه بضاعة تخضع للعرض والطلب ، فأصبح الدين فى نظر هؤلاء صلاة وصوما وتمتمة وعد حبات المسابح وترديد الأحاديث بلا فهم ودعوة الى الرضى بما هو مكتوب ··· على الجبين !!

وباسم الدين يقفز من حين لآخر دجال مشعوذ رجعى بين الصفوف لينادى المسلمين أن يتبعوه !

··· الى أين ؟ !

هو لا يقول شيئا ·· هو لا يعرف شيئا ·· لكنه يتكلم عن الله وعن محمد وعن الصحابة والأولياء ·· وعن الدستور الأعظم « القرآن » ثم يسكت عن الكلام المباح !

ويقع بعض المسلمين فى شرك ذلك الدعى الكاهن ·· يقعون بحسن نية تدفعهم أحاسيسهم نحو الله ونحو الرسول !

وأصبح من السهل أن يدس تجار الدين أشياء غريبة عنه ولم يجىء بها صاحب الرسالة على الاطلاق ·

وأصبح من السهل أن يحصل أفراد ـ من هذا النوع ـ على مكاسب شخصية وعلى بغيتهم فى الدنيا ، وهى لا تخرج عن مطمع فى سلطان ، ورغبة فى نفوذ وعشق للجاه والشهرة !

والجماهير بالرغم من هذا التخريب فى صفوفها ـ مستريحة الى حد ما ··· لأنها تعتقد أن سيرها وراء تجار الدين يقربها من الله !

وكان أن أصبح المسلمون فى نظر العالم والرأى العام العالمى فئة من المشعوذين بل وتجرأ البعض فاتهمهم بالوثنية ·· وهو معذور ورب الكعبة !

فهذا التأخر الذى هم فيه ، وهذا الفقر الذى هم فيه . وهذا الجهل الذى يسود تفكيرهم وخطواتهم ·· وهذا وهذا الخ ·· قد جعل الرأى العام العالمى يؤمن بأن الاسلام دين شعوذة ورجعية واستسلام للوهم !

وهكذا تمت الجريمة ·· جريمة تشويه أعظم الرسالات وأقواها وأكثرها ثورية وايمانا بالتقدم !

كانت الكهانة اذن ـ ولا زالت ـ جريمة ترتكب فى حق اتباع محمد ··· وفى حق المؤمنين بأقوى المناضلين وأقدرهم !

فهل كان يمكن أن يسكت الرجال الذين يؤمنون بالعدل والحق والعمل عليها ـ على الجريمة ـ ؟!

المعجـــزة [١]

هل وجد الدين لكى يعد الناس للآخرة فقط ٠ !؟

واذا كان الأمر كذلك ٠٠ فهل أصبح من المحتم على أصحاب كل دين أن يعدوا أنفسهم منذ اللحظة التى يولدون فيها حتى آخر دقيقـة من عمرهـــم لكى يدخلوا الجنة لا يعملون ولا يتطورون ولا يقيمون حضارة ولا يشـــيدون مدنية ٠٠ بل يتركون انفسهم للمقادير يتراكم الصـــدأ على عقولهم وأرواحهم ، يتمتعون بالادعية ويعدون حبات المسابح و ٠٠ الخ ٠ !؟

أقولها بكل ما املك من ايمـــان ان الدين ليس كذلك ، والذين يوهمون البشر بأن الانسان ما وجـــد الا ليترهبن ويعد نفسه لدخول الجنة ما هم الا أعـــداء للدين ٠٠ ولكل الأديان !!

ان الدين ما وجد الا لكى ينتشر العمران وتقام الحضارات فى كنفه ، ويعم العلم ويشيع العمل ٠ !

وقد قلت أمس أن المشعوذين والدجالين ـ تجار الدين ـ ارتكبوا أشنع جريمة فى حق ملايين المسلمين ، ومن ثم ترتب على تفكيرهم المنحرف عن أصل الدين واستغلالهم لرسالة محمد ، وتفسيرهم لها حسبما يشاءون ٠٠ أقول ترتب على كل هذا أن اتهم المسلمون بالتأخر والجهل وكل صفة وضيعة تمتهن آدميتهم ٠ !

و ـ نحن المسلمين ـ متأخرون فعلا ٠٠ وهذه حقيقة ، واذا كان هناك من هو مسئول عن تأخرنا وجهلنا وعن مأساتنا كلها فلسنا نحن المسلمين على أى حال ٠٠ وليس محمدا ٠٠ وليس الدين نفسه ، بل المسئول هم هؤلاء التجار الذين يخطفون المشاعل ليطفئوها حتى تضل الجماهير الطريق ٠ !

واود أن أتساءل ٠٠ لماذا لم يتأخر سوى المسلمين ولماذا لم يمرض سواهم ٠٠ ولم يعم الجهل غيرهم ، ولم ينتشر الخراب الا فى ربوعهم ٠ !؟

كل الأديان يعيش أصحابها فى أمان وسلام وفى كنف العلم والعمل والحق والعدل ، ولم يقل أحد أنهم قد كفروا بديانتهم ٠٠ فهم يقيمون الصلوات ويحتفلون بمولد كل نبى لهم ، ويبتهلون فى الملمات الى الله ٠٠٠ ويسجدون له ٠

ولأمر بالقارىء مرا سريعا بالتاريخ ..

فى القرون الوسطى التى يحددها المؤرخون من القرن السادس حتى الثالث عشر ، كان الظلام يطبق على أوروبا .. الأوبئة تفتك بالألوف ، والجهل يغل العقول والجوع قانون .. والسخرة دستور ، والذل طابع يوصم به كل وليد .. !

كانت أوروبا فى تلك الحقبة من التاريخ المظلم الذى مر بالبشرية تعانى مما نعانى منه – نحن المسلمين الآن – .. وفى نفس الوقت كان المسلمون تزدهر حضارتهم ازدهارا رائعا فى المنطقة المعروفة بالشرق الأدنى .. فعندهم علم وفى أوربا جهل .. وعندهم عدالة وفى أوربا ظلم ، وعندهم حق وفى أوربا باطل ، وعندهم حريات وفى أوروبا استعباد وسخرة وضياع .. !

كانت أوروبا – فى القرون الوسطى – خاضعة خضوعا تاما للكهنوت ! .. فالبابا هو ولى النعم .. هو الذى يأمر فيطاع .. وهو الذى يتوج الملوك ويمنح الحكام حق الولاية ويفرض تفسيرات الكنيسة فى ذلك الوقت للكتب المقدسة فرضا .. حتى أن نشر أصول تلك الكتب كان محرما تحريما قاطعا .. لكيلا تقرأها الجماهير فتفسرها تفسيرا يتفق مع مصالحها

وتفهم من آياتها مالا يتفق وسلوك رجال الكنيسة .

وعندما تجرأ «ويكليف» الانجليزى و « هس »

التشيكى على الدعوة الى تعاليم المسيح الحقيقية ، وطالب بتطبيقها والكف عن تزويرها . هاجت الكنيسة وأصدرت حكمها عليهما بالموت حرقا .. ونفذ الحكم فعلا .. !

كانت كل الدعوات التي ينادى بها الاحرار في القرون الوسطى جريمة يعاقب مرتكبوها بالموت .. فكل شيء في تلك الايام كان باطلا ما عدا الكهانة .. حتى أن الكنيسة حرمت الاشتغال بالطب .. فاذا تعسرت احدى النساء في الولادة - مثلا - يستحيل على أهلها استدعاء طبيب .. بل تفرض عليهم الكنيسة استدعاء كاهن .. يظل بجوارها يتمتم ويهمس حتي تموت .. كان الكهنة هم الأطباء وهم العلماء ، وهم الذين يبيعون الناس أرضا في الجنة .. ويطهرون الأرواح ويقيمون لمن يشاء طقوسا تؤهله لدخول الفردوس !

وفي غمرة هذا الكبت والحكم الرجعي الذى ساد أوربا في ذلك الحين قام من بين الرهبان واحد منهم اسمه « روجر باكون » وكان مفكرا واعيا يفهم الغرض الحقيقى الذى نزلت من أجله الأديان ، ودعا باكون الشعوب فى أوربا الى البحث عن الحقيقة وسط تلك الظلمات .

فتعرض الراهب المفكر للاضطهاد والتشريد . لكنه كان قد فتح الباب أمام الناس على مصراعيه لكى تتأمل فى حالها وفى مستقبلها .. وما كاد القرن الثالث عشر يقبل

حتى كان سلطان العقل قد بدأ يصارع سلطان الكهـــانة في أوربا ، معلنا بداية البعث وعصر النهضة ..

فبدأ الاقطاع وليد الكهانة وربيبهـا يتعرض لهجـوم عنيف من المفكرين ..

واسمعوا أيها المسلمون هذه الحقيقة التي سجلهـا المؤرخون .. افتحوا آذانكم واسمعوا ما يقوله المؤرخـون عن عصر النهضة في أوربا وكيف بدأ ..

أتعرفون أنكم كنتم يا أتباع محمد من عوامل بعث النهضة في أوربا !

أتدرون كيف كان ذلك ..

في بداية ذلك العصر ـ عصر النهضة ـ كان الملك

فردريك الثاني قد تمرد على الكهنوت وأعلن العصيان وبدأ ففتح الباب على مصراعيه أمام العلم والمنطق ، أمـام زحف التطور الانساني . !

وقد سمع فردريك الثاني عن ازدهار حضـــــارة العرب .. وسمع عن الجهود التي بذلها علمـــاؤهم في ترجمة وتدريس الفلسفة والعلوم اليونانية .. وسمع عن ازدهار الثقافة في بلاد المسلمين وازدهار الادب والوعى .. ففتح باب بلاطه أمام علماء المسلمين وأدباء المسـلمين ومفكريهم .. وكرم ذلك الملك الجليل هؤلاء العلمــــاء

والمفكرين تكريما عظيما ؛ ثم دعـــاهم الى المساهمة فى النهضة بما يحملون فى رءوسهم من ثقــافة عربيـــة ويونانية ·· ومن معرة النعمان انطلقت فكرة أبى العلاء لكى تلهم دانتى « الكوميديا الالهية » !!

ثم جاء « لوثيروس » الراهب الكاثوليـــكى المثقف وأعلن أن المسيحية ليست ـ على الاطلاق ـ كهانة وخضوعا للكهنوت ··· ثم أعلن أن الكهانة شوهت المسيحيـــة تشويها مروعا !

و « لوثيروس » هو أبرز شخصية ظهرت فى القرن السادس عشر ·· وهو العصر الذى بدأ فيه عصر النهضة فى أوربا يأخذ شكلا جديدا ·

وكانت ثورة لوثيروس الاصلاحية قد وجدت طريقها الى قلوب الجماهير ، نفس الجماهير ، التى كانت بحكم عواطفها تؤيد الكهنوت وتحميه ولا تعارض رجعية رجاله وتزويرهم للدين ·· وكان تأييد الجماهير لدعوة لوثيروس سببا فى انقاذه من الموت ، وقد استدعيت روما لوثيروس بعد ما قام فى جرأة لا حد لها وعلق بيانا « منفيستو » على باب محكمة الكنيسة تضمن خمسا وتسعين مادة هاجم فى كل منها رجال الكهنوت وباطلهم ·

قال للناس ان تعاليم الكهانة وهم كبير ·· ثم لم تكد تصله الدعوة من روما حتى انطلق هاربـــا الى

ألمانيا ·· فقد كان يعرف أن الموت له بالمرصـــاد فى روما !

ثم احتمى لوثيروس فى احدى قلاع سكسونيـــا وعكف على ترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية الى اللغات الحية حتى تتمكن الجماهير فى كل بقاع أوربـــا من الاطلاع على نصوصه فتفهم طريقها ·· وتعرف أن الدين عدل وحق وعمل ··· وعندما مات لوثيروس عام ١٥٤٩ كانت أوروبا تغلى بالسخط على الكهنوت ·· وكان ان بدأت عملية تحطيم الكهانة · وفى نفس الوقت بدأ البعث العظيم ·· فأصبحت أوربا كما هى عليه الآن ·· فيها علم وفيها عمل وحق وعدل ·

ثم كانت مأساة المسلمين ·· الذين لم يمضـــوا فى الطريق الذى قادهم اليه محمد وابو بكر وعمر وعلى، وكل القادة المناضلين ··

أصبحت بلاد المسلمين فى حال لا تختلف عن حال أوروبا فى عصر الكهنوت ·· عصر الظلام ·· عصـــر الخرافة ·· !

وهم ـ المسلمون ـ الذين ساهموا فى نهضـــة أوروبا ··

وهم ـ المسلمون ـ الذين صنعوا ثقافة أوروبا ، عندما نقلوا اليها فلسفة الاغريق وتعاليم ابن رشد وابن خلدون ويقظة أبى العلاء !!

لقد عرفت أوروبا ان الدين لم ينزله الله على رسله لكى يعد البشر أنفسهم لدخول الجنـــة ·· بل عرفت أوروبا بعد صراع محمد بين المفكرين ـ الذين فهموا حقيقة الدين ـ وبين الكهانة القـــائمة على الخرافـــة والشعوذة ·· عرفت ان الدين أنزل على عباد الله لكى يحطم اغلالهم ويحميهم من الظلم والسخرة والجهل ·· ويحميهـم مما يهدد تقدمهم ورزقهم وعلمهم وحرياتهم !

عرفت أوربا الحقيقة ·· وتركناها ـ نحن المسلمين ـ ·· تركنا الحقيقة تضيع منا ·· وكانت بين أيدينا نوجـه بها مقدراتنا ونتقدم على هديها نحو المستقبل العظيم ،الذى حدده لنا أعظم الثوار وأقدر المناضـــلين نبينا رسول الله محمد ·

ومن هذا التاريخ يمكننا أن نعرف ان الدين ـ أى دين ـ يمكن أن يستغله الدجالون والمشعوذون والانتهـــازيون طلاب الأسلاب والغنائم والجاه والشهرة ·· كما يمكن أن تستغله الشعوب ·· وهذا هو الأصل فى وجوده · !

فالدين لم يوجد الا من أجل الملايين ·· لا الأفراد ··

ومن واقع الملايين ومن صميم حياتها تنتشر الديانات وترسخ فى القلوب ··

فالذى يدعونا الى الايمان برسالة ـ معينة ـ لا يمكن أن تكون رسالته متعارضة مع مصالحنا مع تقدمنا ودوافعنا

مع ازدهار معيشتنا وأمننا وسلامنا .. والا لما وجد من يؤمن به وبرسالته ويتبعه .. ثم يناضل معه من أجـــل نشرها بين العباد . !

من اجل هذا انتصر محمد على جميع الاعداء .. وعلى ضوء الحقيقة انطلق العرب فى بسالة وراءه يستشهدون وينشرون العدل والحق والعمل فى جميع الامصار . !

وفى هذه الأيام المجيدة التى نمر بها نحن المسلمين يتحتم علينا أن نفهم حقيقة دعوة محمد كما أنزلها الله عليه لا كما يريد الانتهازيون والدجـــالون وتجـــار الدين أن يصوروها لنا .. بدافع من رجعيتهم وضعفهم وعشقهـــم للشهرة والجاه والسلطان ..

ويتحتم علينا ـ نحن المسلمين ـ وقد بدأت فكرة المؤتمر الاسلامى تلاقى ترحيبا فى نفوس سكان أفريقيـــا وآسيا وأوروبا وبعد أن أصبح تكتل المسلمين فى جميـــع الامصار ضرورة تحتمها الظروف التى يجتازها العالم اليوم .. بعد أن أصبح النهوض ببلادنا وتطويرها بحيث تساير الزمن والعصر وركب الحضارة ..

أقول يتحتم علينا أن نقف فى وجه تجـــار الدين ونصفعهم بالحقيقة ، فنقول لهم أن محمدا لم يدع المسلمين

الى الكهانة والى الجمود ·· أو الى العبث بحق الانســـان سواء كان هذا الانسان رجلا أو امرأة في العلم والمعرفــة واقامة أسس حياته على المعجزة ·· المعجزة التى بدأت معالمها تبين وتظهر بعد الأيام الرائعة التى قضيناها فى أرض النبى ··

المعجـــزة ؟

كان الحديث بين سفير افغانستان وبيني عابرا سريعا ،والحـديث كان عن المسلمين وأحـوال المسلمين وبلاد المسلمين ..

وقبل أن أستأنف الكلام عن الكهانةوتجار الدين، والجريمة التى ارتكبوها فشوهوا بهـــا حياتنا .. أود أن أســجل هنا بعــض ما تضمنه ذلك الحديث ..

ان سفير الافغانستان عالم أشيب جليل رائع المنطق وهو مسلم مثلى ومثل ملايين البشر .. لكن حديثه كان متحررا ؛ يجعلك تذكر المناضل الباسل جمـــال الدين الأفغانى الثائر المسلم ؛ الذى عرف بوعيه العظيم أن مأساة المسلمين من صنع الكهانة . كما عرف أن الكهانة هى

ربيبة الاستعمار ٠٠ فدعا فى كل كلماته وفى اصرار وقوة الى القضاء عليه ٠٠ على الأصل لكى يختفى الظل !!

وقد تحدثنا عن الاسلوب الذى يمكن أن تتوحد بـه الشعوب الاسلامية ، وعن الأسس التى يمكن أن تتم فى نطاقها هذه الوحدة ٠

ان الحاجة الى توحيد ملايين المسلمين العديدة ،والتى لا حصر لها ، على اسس تتمشى مع الواقع الذى يعيش فيه العالم الآن ٠ وتساير التطور الهائل العظيم الذى بلغتـــه الانسانية أخيرا ٠٠ أقول ان هذه الحاجة لم تصبح ملحـــة فقط ٠٠ بل أصبحت ضرورة تحتمها رغبة تلك الشعوب فى التحرر والانطلاق الى الحياة ٠٠ الى الحق والعدل والعمل!

وتناول الحديث ثقافة الفرد المسلم ، التى ليس لهــا طابع فى الوقت الراهن . بل ليست لها معالم معروفة أو اتجاه معين !!

والثقافة كما هو معروف هى التى تحدد مقدار وعى الفرد ، ومن ثم تلزمه بشق الطريق نحو مستقبله ، وفى الحدود التى تحقق مصالحه وحرياته وآماله بل وحقوق ومصالح وآمال الجماهير كلها ٠٠ !

فاذا أردنا أن نحقق معجزة توحيد الشعوب الاسلامية على أساس ما بلغه التطور الانساني أخيرا من مدنية وعلم ومعرفة وحق وعدل ومســـاواة يجب أن نبـدأ فى بعث

ثقافة للفرد المسلم ينفعل معها ويؤمن بها ومن ثم يبدأ في شق طريقه مع المجموع نحو الأهداف التي يكافح البشر ـ جميعا ـ من أجلها .. هذا هو الطريق !

وقد يفهم القارىء العادى ان المقصود بالثقافة هو التعليم فى المدارس والجامعات !؟

ان الفرق بين الثقافة والتعليم شاسع هائل ، فالانسان المثقف هو الذى يعرف الطريق الى الحياة .. الى الحرية والعدل والحق ، كما يعرف وسائل الانطلاق فى ذلك الطريق .. اما المتعلم فهو الذى يدرس لكى يحترف عملا يرتزق منه .. !

ولكى يتم خلق ثقافة الفرد المسلم .. أعنى ثقافة يكون لها طابع يتسم به مئات الملايين أتباع النبى المناضل محمد ، يجب أن تكون الثقافة مستمدة أصلا من تاريخ هذه الملايين .. !

من نضالها ومن واقعها ومن مصالحها ومن حضارتها ومن أدبها ومن فنها ، ثم لكى تصبح ثقافة واعية متقدمة متطورة يتحتم أيضا أن تكون مرتبطة بثقافة ووعى البشر جميعا .. !

فالثقافة فى هذا العالم وحدة لا تتجزأ ..

وكما قلت أن العرب ساهموا فى بعث ثقافة

أوربا عند ما بدأ عصر النهضة والثورة على الكهانة ، سوف يساهم الغير أيضا فى بعث ثقافة المسلمين ·· بما وصلوا اليه من تقدم من المحال تجاهله !

ويساعدنا - نحن المسلمين - على بعث ثقافتنا وتمكينها من رؤوس الملايين تلك الحقيقة الناصعة التى تقول ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى تضمن الى جانب مبادئه السماوية مبادىء اجتماعية تحدد قيمة الانسان العظمى فى الحياة ثم تعترف بحقه فى العلم والرزق والحرية وكل ما يمنع عنه شبح المأساة ·

فالاسلام مثلا لم يحتم شل نصف المجتمع - المرأة - والحيلولة بين هذا النصف وبين الاشتراك فى نضال البشرية من أجل مستقبلها وأمنها وسلامها ! ··

لكن الكهانة وتجار الدين يفرضون على المرأة المسلمة أن تولد ثم تلد ثم تموت !!

أى جعلت منها الكهانة آلة مسيرة لا عقل لها ولا رأى ·· ولا حق ! ··

فكيف يمكن - اذن - أن تبعث ثقافة الفرد المسلم ويتم توحيد الشعوب المسلمة ·· أى كيف يمكن خلق نهضة المسلمين . ونصفهم - باسم الدين - يجب أن يظل مغلولا بلا عقل !؟

وكما قلت أنه يمكن تفسير الدين ٠٠ لمصلحة أفراد ٠٠ وفى نفس الوقت نجد تفسيرا له لمصلحة المجموع ٠٠ وهذا هو الأصل فى وجود الأديان !

فقد فسر رجال الكنيسة فى العصور الوسطى الدين المسيحى بما يتفق مع تفكيرهم الرجعى وبما يتفق مع مصالحهم ورغباتهم وحبهم للسلطة والنفوذ ٠٠

ومن بين تفسيرهم لرسالة عيسى ما حتموه على المرأة من حجاب وعبودية ٠ فتم بهذا فصلها عن المجتمع فصلا تاما فكان اذا أصيبت سيدة بمرض أو بوباء لا يسمح لطبيب من الرجال بانقاذها من الموت ٠٠ لأن رسالة المسيح – كما فهمها الكهنوت – تفرض على المرأة أن تموت بدلا من أن يراها رجل غريب ٠٠ حتى لو كان يحمل لها الدواء ٠

وفى نفس الوقت لا تجد رسالة المسيح – كما فهمها الكهنوت – مانعا من أن يرى هذه المرأة المريضة أحد الكهان من الرجال فيظل بجوارها وهو ليس من العميان طبعا ، حتى اذا ماتت بين يديه يدخل فى رحمها آلة يرش منها الماء لتخليص روح الطفل الذى تعسرت فى ولادته ثم ماتت بسبب ذلك العسر !؟

تلك احدى الجرائم التى كانت تتم فى كنف الكهانة أيام عصور الظلام !

فماذا كانت نتيجة هذا التفسير من الكهنوت لرسالة عيسى ؟

ظلام ساد أوروبا ·· وجهل ·· وعصف بالحقوق وبالحريات وبالعمل ··

ثم بعد أن تم القضاء على الكهانة فى أوربا ، وعرف الناس حقيقة رسالة دينهم أصبحت المرأة ـ الآن ـ هناك تعمل وتفكر وتتعلم وتبنى الحضارة مع الرجل ·· ولا يمنعها كل هذا من أن تلد أطفالا ·· هم لا شك أحسن حالا من أطفال عصر الكهنوت !

وأنا لا أنسى حادثا وقع أمام عينى ذات يوم هنا فى مصر ·· فقد رأيت شابا متعلما ينتمى الى احدى الهيئات المعروفة فى احدى المناسبات ·· وكانت هناك سيدة فاضلة فى المكان ، صافحناها جميعا ـ نحن الرجال ـ وكان زوجها طبعا معنا ·· وعند ما مدت السيدة الفاضلة يدها الى ذلك الشاب لتصافحه ارتد الى الوراء مذعورا كأن انسانا يهاجمه ليقتله ، ورفض أن يصافح السيدة !

وسألناه لماذا ·· والحيرة تستبد بنا ، ففهمنا منه أن الذين يوجهونه فى الحياة ويخضع لهم فى نشاطه وفى افكاره قد أكدوا له أن محمدا الرسول « المناضل الحر » لم يضع يده فى يد امرأة !

وهكذا تفسر الكهانة دين محمد الآن مثلما فسرت

الكهانة رسالة عيسى فى عصور الذل والاستغلال والبطش .. العصور الوسطى !!

ومن خلال هذا الحادث البسيط العابر يمكننا أن نفهم مدى ما يتمع به تجار الدين فى بلادنا من وعى وايمان بالتطور الانسانى .. وبرسالة أقوى الثوار وسيد الأحرار محمد .. فهم بدلا من أن يقولوا لهذا الشاب أن محمدا قد دعا الى العمل وبناء المجتمع وتخليص البشرية من الجهل والجمود والاستغلال ونشر العمران والحضارة فى جميع الأقطار ... يحدثونه عن وضع يد الرجل فى يد المرأة وكيف يصبح هذا جريمة .. وكيف ان منع هذه الجريمة هو الهدف الذى نزلت من أجله رسالة الاسلام ... !

الكهانة اذن فى بلاد المسلمين تريد أن تعطل نصف المجتمع .. لحساب من .. ؟!

أيفعلون ذلك لحساب النهضة والبعث والحرية والعدل والحق !؟

أم لحساب التطور الانسانى ومصالح الأفراد والجماعات !؟

لا هذا ولا ذاك

فتعطيل نصف المجتمع معناه تأخر هذا المجتمع وتخلفه عن اللحاق بموكب المدنية والعلم والتقدم .. وهذا

اذن يكون قطعا لحساب أعداء البشرية .. لحساب الرجعية .. لحساب المشعوذين !!

وتمر بخاطرى هذه اللحظة تلك الصيحة الحرة التى انطلقت من فم الشاعر العربى المتنبى بعد أن هاله ما فعلته الكهانة بالبشر فى بلاد المسلمين فصرخ فى مرارة :

هل غاية الدين أن تحفوا شـــواربكم

يا أمة ضـــحكت من جهلها الأمـــم . !؟

بعث جديد

وأمضي معك أيها القارىء في حديثي الطويل ، فأستأنف كلامي عن ثقافة الفرد المسلم ، تلك التي ليس لها وجود في الوقت الراهن ..

وكنت قد حدثتك حديثا خاطفا عنها وعن مضمونها والتزاماتها ، وتحدثت عن الوسيلة التي تمكننا نحن المسلمين من بعث ثقافتنا ، حتى يمكن أن ننهض ومن ثم نصبح مثل غيرنا ، نعيش في كنف العدل والحق والعمل !

والثقافة وحدة لا تتجزأ في هذا العالم ، فاذا كانت مزدهرة في ركن منه ومندثرة في ركن آخر ، أصبح من المحتم أن يساهم هذا في بعث ثقافة ذاك .

فكيف يكون ذلك !؟

فى التاريخ .. تاريخ البشرية سجلت هذه الحقيقة فأصبحت قانونا لا يمكن نقضه .

ولنضرب مثلا من تاريخنا ، نحن المسلمين ، أيام أن كنا نهتدى برسالة محمد على حقيقتها ، وقبل أن تستبد الكهانة بنا . وقبل أن يفرض علينا تجار الدين الجمود والعرى والمرض والجهل !!

كان ذلك فى مستهل القرن العاشر الميلادى حتى القرن الثالث عشر ، وتلك الفترة أطلق عليها المؤرخون فى الشرق والغرب عصر العرب الزاهى ..

وتحدث المؤرخون عن ذلك العصر فقالوا أن العرب كانوا وحدهم حملة مشاعل الثقافة فى الدنيا كلها !

وفى ذلك العصر أقبل علماء العرب اقبالا عظيما وبدافع من العدل والحق السائدين فى ربوعهم على نبش تراث أثينا العظيم .

ذلك التراث الذى حاول الرومان دفنه فى أعماق الارض حقدا منهم وحسدا من حضارة الاغريق وفلسفتهم وعلومهم وقوانينهم .. حتى اذا تم انهيار الامبراطورية الرومانية تحت أقدام برابرة الشمال ، بدأت حضارة الاغريق تبين وتتضح أمام العالم من جديد ..

وكان العرب هم الأمناء عليها ، وهم حماتها ، وهم الذين بعثوها !

لم يحقدوا ولم يحاولوا دفن تلك الثقافة فى التراب مثلما فعل الرومان ٠٠٠

وكان للعرب امبراطورية فى ذلك الوقت ٠٠ ولكنها لم تكن امبراطورية قائمة على السخرة والعبودية والدم الأزرق النبيل الالهى ، كما كان حال الرومان ٠٠ بل كانت امبراطورية العرب قائمة على الحق والعدل والحرية، والايمان بالانسان !

من أجل هذا آمن علماء العرب بالثقافة وعرفوا أنها الطريق الى التقدم ، فترجموا كتب أرسطو وسقراط وأبو قراط ٠٠ فكان حنين ابن اسحق هو باعث فلسفة ارسطو وحكمته ٠٠ وترجم ابن الهيثم نظريات اقليدوس وأرشميدس الى العربية ٠

وفى ذلك العصر المجيد الزاهى للعرب كانت السيادة الثقافية فى العالم كله قد عقد لواؤها لبنى العباس ، فأنشأوا المكتبات والجامعات وامتلأت تلك المكتبات بالعلوم والفلسفة والحكمة ٠٠ وشاع العلم وشاعت الفلسفة والأدب ، ونشط العلماء العرب والفلاسفة العرب بعد ذلك الطوفان الثقافى فى البحث والمعرفة ٠٠

كانت ثقافة أثينا قد مهدت لهم الطريق فسجل التاريخ لهم صفحات مجيدة كان لها دورها الحاسم فى تطور البشرية وقفزتها الى النور ٠٠ سجل التاريخ للطبيب الفيلسوف ابن سينا ما قدمه للانسانية من معرفة بعد أن

ترجم كتابه « القانون » الى جميع اللغات الحية ويدرس هذا الكتاب الآن فى جامعات أوربا ..

وسجل التاريخ « للرازى » انه أول طبيب اكتشف عدوى الأمراض وأول من عرف مرضى الحصبة والجدرى ، ووصف أعراضها !!

وسجل التاريخ لابن رشد ما قدمه للانسانية من فلسفة أضاءت لها الطريق .. ثم أخيرا كان لابن خلدون نصيب كبير فى هداية فلاسفة أوربا الى علم الاجتماع .. وقد أطلقوا عليه لقب العالم الاجتماعى الأول ، فان علماء الفلسفة والاجتماع فى عصر النهضة بأوربا لم يجدوا مرجعا لأبحاثهم وفلسفتهم أفضل من مقدمة ابن خلدون !

وكما حدد ابن خلدون لعلماء أوربا وفلاسفتها الطريق فى عصر النهضة فعل « ابن نفيس » أيضا نفس الشيء لأطباء أوربا !

فابن نفيس العربى هو أول من وصف الدورة الدموية وسبق فى ذلك سرفينوس بثلاثمائة سنة ، وكان بحث ابن نفيس هو الذى اهتدى به « هارفى » عندما وضع كتابه عن الدورة الدموية كما اعترف هو نفسه بذلك !

وعلى هدى هذا البحث عن الدورة الدموية تقدم الطب وتم انقاذ البشر من كثير من الأمراض التى كانت تفتك بهم !!

كان العرب ، اذن ، يعيشون ـ بلا كهانة ـ حياة رائعة متقدمة ..

وكانوا ـ بلا كهانة ـ يحملون المشاعل لهداية العالم كله الى مستقبله الذى يتحتم أن يزدهر بالعلم والمعرفة وبالأدب والفن .

كانوا ـ بلا كهانة ـ يؤمنون بالثقافة ، ينبشونها حيثما كانت ، ويطورونها فى وعى عظيم وايمان بالحق ، حق البشرية جمعاء في الحرية والعدل والعمل .. لم يتعصبوا لأنهم فهموا رسالة نبيهم محمد فهما عميقا متطورا ، لم يزوروا الحضارات التى سبقتهم بل انطلقوا يدرسونها ويبحثون عن مصادرها ثم ينقلونها فى أمانة الى البشر جميعا ، بغض النظر عن مذاهبهم وديانتهم .. تلك كانت رسالة محمد العظيم المناضل الثائر المتحرر المتقدم . !

الرسالة التي يريد تجار الدين أن يزوروها تزويرا يوقف تقدم ملايين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ويجعل منهم أمة تضحك من جهلها الأمم . !

ونعود الى الثقافة .. حديث الأمس واليوم فأقول ان عصر العرب الزاهى عندما لم تكن هناك كهانة أو كهنوت تمخض عن علم كثير وأدب كثير وفلسفة كبرى . وكانت ثقافة العرب مستمدة من حضارتهم ومن أبحاثهم فى تراث أثينا وفارس والهند .. أقول كانت تلك الثقافة

هي الأساس الذي بنيت عليه حضارة أوربا في هذا القرن العشرين !!

وكما قلت أمس أن الثقافة وحدة لا تتجزأ فقد كان لا بد في عصر النهضة في أوربا ، من القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر ، أن يقبل علماء وفلاسفة وأدباء أوربا على التراث العربي وهم في سبيل خلق ثقافة الانسان هناك !

وفي ايطاليا عكف الرهبان المثقفون على ترجمة ما نقل من كتب العرب وتراجمهم ، وكانت تلك الكتب تمتلىء بها المكتبة الملكية في قرطبة ودار الحكمة في بغداد . فقام الراهب قسطنطين وهو حبيس في دير كاسينو في ايطاليا بترجمة مؤلفات العرب في الفلسفة والعلوم والادب والاجتماع والفلك من العربية الى اللاتينية ثم قام ذلك الراهب الواعي بأعظم عمل في تاريخ عصر النهضة الأوربية عندما نقل مؤلف على بن عباس المجوسي .. ثم قام رهبان آخرون في دير كاسينو بترجمة كتب ابن سينا وكتاب « الحاوي » للرازي ومؤلفات ابن الخطيب في الشعر والأدب والسياسة .

كانت ايطاليا وصقلية هما الجسر الذي عبرته ثقافة العرب من شمال أفريقيا الى القارة الأوربية .. وهكذا صنع العرب حضارة أوربا .. وبعثوها في عصور الاقطاع والظلام والسخرة والجهل والاوبئة .. العصور الوسطى الرهيبة .

ساهم أجدادنا فى تحرير أوربا من الكهنوت ..
ثم وقعنا نحن الاحفاد فى شراكه فعانينا ما عانته الملايين فى القرون الوسطى .. أصبحنا مرضى ومسخرين وجهلة وجياعا وعراة ، وليس فى حياتنا سوى المأساة ..

أصبح أحفاد حملة المشاعل أشبه بجثث هامدة ترقد فى قبور تسمى ببلاد المسلمين ..

أصبحنا نحن المسلمين موتى لأننا لا نملك ثقافة .

أستغفر الله .. بل نملك لكن الكهانة أخفتها عنا ..

عندما فرض علينا تجار الدين التعصب والجمود والخضوع لرجعيتهم .. لم نجد عدلا نبحث فى كنفه عن العلم .. ولم نجد حقا يعاوننا فى تحطيم أغلال الكهانة لننطلق مع البشر جميعا فى ركبهم المندفع نحو الحياة .. ولم نجد حرية تبعث فينا الرغبة فى البحث والتأمل والمعرفة .

من أجل هذا لم تعد لنا ثقافة .. ومن أجل هذا لم نجد طريقنا نحو العدل والحق والعمل .

وكما قلت ان الثقافة وحدة فى هذا العالم لا تتجزأ، كان حتما اذن أن نبحث وندرس ثقافة غيرنا مثلما فعل أجدادنا حملة المشاعل فى عصرهم الزاهى ، لكى نتمكن من خلق ثقافة للفرد المسلم .. وفى العالم الآخر -

ولا أقصد الجنة ـ توجد ثقافة ، وذلك العالم لم يسمح لنا بالتزود منها بل حجبها عنا وارتكب فى حقنا ـ بعدما رأى حالنا ـ جريمة بشعة ..

وساعده فى ارتكاب تلك الجريمة تجار الدين والمشعوذون ..

ساعد هؤلاء ـ وهم منا ـ الغرب فى البطش بنا بدلا من تثقيفنا مثلما فعل أجدادنا الكرماء العظام مع الغرب أيام جهله وتأخره وانحلاله .

فأقيم ستار حديدى بين المسلمين وبين الثقافة العالمية والتى هى وحدة لا تتجزأ .

لماذا .. !؟

أعظم الأعمال

من رأيي أن أعظم الأعمال التي يمكن أن يقوم بها المصلحون في بلاد المسلمين ، هي أن يفتحوا آذان الشعوب الاسلامية وعيونهم على التراث الانساني الثقافي ، سواء أكان هذا التراث اسلاميا أو سابقا للاسلام أم لاحقا له ! .

ولا أود أن أقدم هذا الرأي باعتباره اقتراحا قابلا للدراسة والتمحيص، بل انه حقيقة وأمنية يتحتم الاعتراف بها ما دمنا نحن المسلمين نريد أن تفتح الأبواب أمام البعث الجديد .

واذا لم نؤمن بهذه الحقيقة فلا سبيل ـ على الاطلاق ـ الى النهوض بشعوب العالم الاسلامي لأنه من المحال جعل البعث الجديد أمرا واقعا في بلادنا المتأخرة الجاهلة المريضة الجائعة اذا لم نعمل فورا على ازاحة الغشاوة عن

عيون الملايين المسلمة ، لكى ترى الطريق ، ومن ثم تبدأ ثقافة الفرد المسلم تأخذ شكلها الجديد فى هذا القرن العشرين الملىء بالنور ، الملىء بالمدنية . المشحون بالمعرفة ٠ !!

واستأنف الحديث ٠٠ وكنت قد مررت بك أيها القارىء مرا سريعا بالتاريخ ـ تاريخنا نحن المسلمين ـ وحدثتك عن الدور المجيد الذى قام به أجدادنا فى عصرهم الزاهى أيام بنى العباس ، فى سبيل تقدم البشر جميعا بلا تعصب ، وبلا حقد ولا حسد ٠٠ !

وأظن أن الحديث كان كافيا لاثبات الحقيقة الرائعة ٠٠ التى ظلت مطوية فى بطون التاريخ بالنسبة لنا على الأقل نحن المسلمين ٠٠ ! المسلمين ٠٠ !

وتلك الحقيقة تقول : ان العرب فى عصرهم الزاهى هم الذين حملوا المشاعل وحدهم فوق هذه الأرض ، فاضاءوا لملايين البشر فى أوروبا الطريق نحو المدنية ٠٠ نحو العلم ٠٠ نحو التقدم !

كانوا ـ العرب ـ يؤمنون بأن الثقافة وحدة فى هذا العالم لا تتجزأ ، فلم يبخلوا بها على غيرهم ٠٠

ثم بعد أن سيطر تجار الدين والمشعوذون والرجعيون على المصائر فى بلاد المسلمين، انطفأت المشاعل فاندثرت الثقافة وانهارت الحضارة ، وأصبحنا نحن أحفاد

حملة المشاعل نعيش كجثث هامدة فى قبور مظلمة سميت ببلاد المسلمين !

وبعد أن نهضت أوروبا وانبعث فيها تراث الانسانية الثقافى بفضل العرب ، استبدت الأنانية بحكامها وطبقاتها العالية وأيضـا بمثقفيها وعلمائها وفنانيها ، فلم يحملوا المشاعل مثل العرب الأمجاد ليضيئوا الطريق أمام الشرق الذى سيطرت عليه أخيرا الكهانة ، مثلما كانت تسيطر على الغرب فى القرون الوسطى ٠٠

فلم يساهم الغرب فى بعث نهضة الشرق على الاطلاق تماما مثلما فعل الرومان أيام امبراطوريتهم المزدهرة ! ٠٠ فقد تعرضت حضارة الاغريق المجيدة لحقد أباطرة رومـا وقوادها العسكريين ونبلائها الأشرار ، فعملوا على طمسها ودفنها فى التراب ٠٠ لأن امبراطوريتهم كانت قائمة على السخرة والاثم والقوة والقهر ٠

ولم يقدر لتراث أثينا الثقافى والعـلمى أن ينبعث أبدا الا عندما حمل العرب مشاعلهم وقدموا للبشرية ذلك التراث ، فى نبل وكرم عظيمين ٠٠ وبلا تعصب وبلا ادعاء أو من !

وأقول ان الغرب بعد نهضته وازدهار المدنية فيه اتجه الى هدف شرير أثيم، فقرر استعمار الشرق لا النهوض به ٠٠ ونادى كبلنج الفيلسـوف الاستعمارى الانجليزى

الرجعى بهذا . وأهاب بقومه أن يسرعوا فى التهام الفريسة المسلمة . قبل أن تفيق من سباتها العميق ! ·· فأطلق كلمته المشهورة : الشرق شرق ، والغرب غرب ·· ولن يلتقيا !!

ونسى ذلك الرجعى أن الشرق سبق له أن التقى بالغرب فى قديم الزمان عندما بعث العرب نهضة ذلك الغرب وأشاعوا فيه النور !!

وهكذا تمت الجريمة وأطبقت المأساة على بلاد المسلمين ·· فزحف الغرب على الشرق ، لا بالمشاعل لكن بالسيف والمدفع . ثم وزع الغرب الفريسة المسلمة على دوله تبعا لقدرة كل دولة وقوتها !

ولم يجد الغرب سندا له فى التهام فريسته سوى رجال الدين ــ أستغفر الله ــ أقصد المشعوذين الدجالين ، طلاب الاسلاب والجاه والشهرة . من المنتسبين للدين بالباطل والزور ·· الجهلة الأميين الذين امتلأت رءوسهم بالوهم فحولوا رسالة محمد الثائر الداعى الى الحق والعمل والعدل . الى كهانة ··· ونفخ المستعمر فيهم ــ فى المشعوذين ــ واحتضن كهانتهم . وعمل على نشرها فى ربوع البلاد الاسلامية . وحارب ــ فى نفس الوقت ــ كل دعوة يجيء بها ثائر من المسلمين ليهدى بها قومه الى الطريق .

فدعوة جمال الدين الافغاني ـ مثلا ـ الى التحرر من الكهانة وقوله بأن الدين ما وجد الا ليطور حياة البشر حسبما تقتضي الأحوال والبيئة والظروف والواقع ... أقول أن هذه الدعوة الأمينة المخلصة بدها المستعمر وطارد أنصارها بمعاونة الرجعيين والمشعوذين والحكام الخونة .. الذين أيضا كانوا يتمسحون فى الدين ، ويصلون على النبى ، وينطقون بالشهادتين .

حوربت هذه الدعوة وكل دعوة مثلها ، فى مصر وفى الهند وفى الشرق كله ، لأنها ستبعث الموتى من قبورهم ، فيطالبون بحقهم فى العلم والرزق والعدل والحرية ..

وكما حدث فى أوربا أيام القرون الوسطى من اضطهاد لا مثيل له لمن ينادون بالقضاء على التجارة فى الدين .. حدث نفس الشيء فى الشرق .. فجمال الدين الأفغانى يطرد من مصر ، ويتعرض أنصار دعوته للبطش والتشريد .. ويطرد من الهند عند ما قال لملايين الهنود : « لو كنتم ضفادع لا آدميين ودستم بأقدامكم على الجزيرة البريطانية لأغرقتموها فى البحر وتحررتم . !! » .

ويطرد نفس الثائر المسلم من روسيا القيصرية ، عندما حاول فى بطرسبرج ، أن يلفت الأنظار الى ظلم القياصرة والكهانة فى كنفهم ..

ويطرد من كل مكان يذهب اليه وهو ينادى البشر

جميعا على اختلاف دياناتهم بالتخلص من الكهانة والايمان بأن الدين ـ أى دين ـ هو نضال فى سبيل التقدم والرقى والمعرفة ‥ فى سبيل السيطرة على المقدرات لا الخضوع لهـــا !!

كان أمثال جمال الدين الأفغانى هم ـ حقيقــة ـ القادة المؤمنين بالدين ، فهو لا يبالى باضطهاد ، ولا يهادن حاكما . ولا يخشى قوى الشر مجتمعــة ، ولا يكف عن صيحة الحــق ، ولا يدخــل ـ مثــلا ـ قصر ملك باطش ليساومه ، ولا يتسلل ـ مثلا ـ فى غفلة من أتباعه الى حجرة ممثل للاستعمار ليعرض عليه صفقة !! .

ولا يؤيد ـ مثلا ـ بقاء أبشع نظام عرفه البشر ـ الاقطاع فيقول عنه . انه من صنع الله !

حارب الاستعمار اذن المناضلين فى الشرق والداعين الى الفتك بالكهانة . واحتضن تجار الدين وأسبغ عليهم حنانه ورضاه !

وان كان فى نفس الوقت يتظاهر بالخــوف منهــم ويزعم انهم يريدون زواله حتى يقربهم من الشعوب !

وهم لا يريدون هذا الزوال ، لأن زوال الاستعمار معناه زوالهم ‥ بدليل ان كل تاجــر دين ظهــر هنا فى مصر ـ مثلا ـ كان لا يتجه كفاحه الى الاستعمار مباشرة

او الى الجهل ·· الى الأعداء الحقيقيين للشعب ، بل كان يفرغ كل طاقته وطاقة أتباعه فى مهاجمة الاذرع العارية ، وبخل بعض الذين « اصطفاهم » الله بنعمته ، والقبعات وظل الكلب هل ينقض الوضوء أو لا ينقضه ·· والسينما التى هى رجس ·· والفن الذى هو شر ، وحكايات عن الافرنج الكفرة !

كان يحول أنظار الشعب الى أشياء ليست فى برنامج كفاحه من أجل التحرير ·· من أجل الرزق ·· من أجل العلم ·· من أجل السلام !

ومن ثم ارتكب ـ تجـــار الدين ـ صناع الكهانة الجريمة الكبرى لتثبيت أركان الاستعمار فى بلاد المسلمين ·· وتلك الجريمة هى صنع ستار حديدى بين عقول المسلمين وبين الثقافة العالمية ·· التى هى الأساس فى بناء الحضارات وفى البعث ·· كل بعث !

فتجار الدين فى كل العصور يصرون على أن المدنية شئ زائف ··

كيف ؟! ··

انهم لا يعرفون فليس لهم منطق ، لكن لهم هدف أثيم ، هو تزهيد الفرد المسلم فى حاجاته ، فى ضروريات عصره ·· فى علمه وعدله وحرياته ··

فهم ـ تجار الدين ـ يرون مثلا أن تدريس أركان

الصلاة والصوم ومناسك الحج فى بلاد تعانى من الاستعمار أى من الظلم ٠٠ أى من الجوع والعرى والمرض ٠٠ هو الشيء الذى يحقق أهداف الشعب المغلوب على أمره ٠٠ لا على دينه !

فاذا كان الدين وخاصة ـ دين محمد المناضل الثائر ـ لا يصيح بالشعب أن يطرد الغزاة ويحطم الاقطاع ويبطش بالحكام الخونة ويبدد ظلال الاستغلال فأى هدف نزل من أجله هذا الدين ؟! هل نزل لكى يظل الشعب طوال عمره راكعا ساجدا متبتلا وهو يعد نفسه لدخول الجنة ٠ !؟

ومحمد الرسول هو الذى قال : احتطبوا ـ أى اعملوا ـ لأن الاحتطاب أفضل عندى من الصلاة والصوم ٠ أن الستار الحديدى الذى أقامه الغرب بين المسلمين وبين الثقافة العالمية كانت لبناته من رؤوس المشعوذين والدجالين ٠٠ التجار الذين زيفوا أعظم الرسالات وأقواها وأصلحها لبناء حضارة الانسان ٠٠ !

الثقافة وسيلة..
والحضارة غاية

يسألني بعض الأحباء : هل الثقافة وسيلة .. أم غاية ؟

وأقول للأحباء : ان الثقافة وسيلة والحضارة هى الغاية ...

الثقافة تصنع الحضارات ، تصنع الحرية ، تصنع الحياة وتبهجها .

وفى هذا القرن العشرين ــ مثلا ــ توجد حضارة لم تكن تخطر على بال أكثر المفكرين تقدما فى هذا الزمن البعيد أو القريب .

وتصيبنا ــ نحن المسلمين ــ من تلك الحضارة المزدهرة دواما قليل بل ضئيل الى حد الأسى !

نحن نلهث وراء تلك الحضارة ، ونكاد نتساقط من الاعياء والارهاق . نكاد نعزل عنها عنوة ورغم أنوفنا !

وفي مقالاتى الأخيرة أوضحت من خلال تاريخ البشرية فى القرون الوسطى السبب فى انبعاث الحضارة هناك ، ومصرعها هنا .. فى بلاد المسلمين ..

هناك فى الغرب لقى الكهنوت مصرعه ، وتم القضاء على تجار الدين ، فانبعثت النهضة ، وهنا فى الشـــرق تركنا الكهانة تمسخ الدين ، فاستغل فى القضاء عـــلى نصيبنا من الحضارة ، وتركنا مصيرنا يحدده تجار الدين منذ القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين !

وأنا أحب بل أهدف الى تأكيد هـــذا المعنى فى كل مقالاتى الأخيرة ، لا رغبة منى أو من الثورة فى كشـــف أساليب تجار الدين الذين لا يزالون يعطلون تقدمنـــــا وظهور حضارتنا !؟

هذا ليس هدفى .. فالتقدم الانسانى كفيل بهم .!

اما هدفى من هذه المقالات التى شاءت ظروف نشرها ان تبدأ بعد عودتى من أرض النبى ـ فهو توضيح حقيقة تاريخية كان من المحال أن يشار اليها بكلمة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

اى قبل بداية الطوفان .. أيام كان الهمس بالحقيقة جريمة بل ذنبا عظيما .

ومقالاتى المتواضعة هذه ليست كل الحقيقـــة ، فالوقت عشحون بأعمال أخرى ، غير التنقيب فى سجلات التاريخ وهذا لا يسعدنى ٠ !

ومما لا شك فيه أن المثقفين فى بلاد المسلمين يصنعون شيئا رائعا جميلا لو اتجهوا الى التاريخ ـ تاريخنا وتاريخهم ـ ثم عرفوا واقعنا فى الشرق وواقعهـــم فى الغرب ، ودرسوا قصة المأساة هنا وقصة الحضـــارة هنـــاك ٠٠ حينئذ يمكن أن يبدأ البعث الجـــديد على أسس علمية وتاريخية تجعل من حضارتنا شيئا محتوما ٠!

ونحن المسلمين ورثة لحضارات كان لها دورهـــا التاريخى فى بعث نهضة أوربا ٠٠ الغرب ٠ !!

والقرآن يمكن أن نســـتخرج منه كل ما يتفق مع التقدم الانسانى ويساير التطور ٠ !

وفى قدرتنا أن ننتصر على الوهم لنؤمن بالعلم ٠٠ بالحقيقة ٠٠ بالهدف العظيم الذى كافح أجـــدادنا فى سبيله حتى القرن الثالث عشر ٠٠ ثم لم يعد هناك كفاح دائم فى سبيله بعد انهيار دولة بنى العباس ٠٠ !

وقد حدثتك أيهـــا القارىء حديثـــا سريعـــا عن أسباب اقامة ذلك الستار الحديدى بين بلاد المســـلمين وبين حضارة الغرب ٠٠ التى هى من تراثنا ٠٠ !!

قلت لك ان الذى أقام ذلك الستار الرهيب الكئيب

هو الغرب نفسه ‥ الذى أصبح يملك الحضارة ، فلم يفعل بعد أن نهض مثلما فعل أجدادنا العرب الأمجاد من اشاعة الثقافة صانعة الحضارة فى جميع الأمصار ‥ بلا حقد وبلا تعصب ‥ وبدون أن يزعموا ـ مثلما زعم الغرب بعد أن نهض ـ بأنهم ملكوا الثقافة وملكوا العلم والفن والأدب والموسيقى فمن حقهم أن يستعبدوا البشر جميعا ‥ الذين لا يملكون تلك المقومات !!

استعمر الغرب اذن الشرق بعد أن نهض وأصبح يملك حضارة ‥ !

وتعاون معه تجار الدين ‥ وسارت الكهانة فى ركابه تمنع عن الشعوب الاسلامية الأفكار الجديدة والعلم الجديد والفن الجديد ‥ تمنع عنا الثقافة وتعاون الغرب فى اقامة ذلك الستار الحديدى بيننا وبينه ، لكيلا تقفز الحضارة الينا !

وعشنا فى كنف الغرب ‥

وكان الغرب ‥ بعد أن قرر استغلال الشرق ، بأرضه وكنوزه وأيديه العاملة ، قد اتفقت دوله على توزيع الفريسة هكذا : الهند وبورما ومصر والسودان وجنوب شرقى آسيا ومستعمرات مبعثرة فى تلك القارة الهائلة وفى افريقيا لانجلترا ، ولفرنسا مراكش وتونس والجزائر ومدغشقر والهند الصينية وصحارى فى السودان ومستعمرات مبعثرة أيضا هنا وهناك ، ولألمانيا

جزر فى الباسفيكى ، ومستعمرات صغيرة فى غرب افريقيا ٠

وللصغيرة الضئيلة بلجيكا الكونغو ، ولأختها هولندا جزائر الهند المعروفة بأندونيسيا ، ولايطاليا الصومال وطرابلس الغرب ، ولروسيا القيصرية سيبيريا وأجزاء من آسيا الوسطى ٠٠ والدول التى لم يستطع الغرب احتلالها استطاع أن يوزع على دوله النفوذ فيها والتوجيه !

وكانت وسيلة الغرب فى استعمار الشرق والاستمرار دواما فى استغلاله ٠٠ هى كما قلت فى اقامة ذلك الستار الحديدى بيننا وبين الثقافة ، ثم الاستناد الى الكهانة وتمكينها من السيطرة على عقولنا ٠

وكما قال المؤرخون الواعون ، تلخصت وسيلة الغرب فى استعمارنا فى تمليك أرضنا الزراعية عصابة قليلة العدد من الاقطاعيين ، ثم حماية هؤلاء الاقطاعيين بالقوانين ٠٠ وبالحق الالهى المزعوم الذى فرضته الكهانة على عقولنا !

وأيضا فى فرض زعامات سياسية على شعوب المسلمين ، وأيضا زعامات اجتماعية ٠٠ لهم على الاستعمار حقوق ، وعليهم هم حقوق له ٠٠

حق الاستعمار عليهم هو السير فى ركابه والخضوع لرغباته ٠٠ وحقهم على الاستعمار حمايتهم والنفخ فيهم

ومقاومة كل من يهدد وجودهم ، ثم تمكينهم من حـــكم البلاد ..

صحيح ان الغرب لم يبخل علينا بجزء من حضارته .. ألقى الينا من خلف الستار الحديدى ببعض الفتات .. سمح باقامة المدارس فى حدود معينة لا تخرج عن اعداد موظفين يقومون بالأعمال فى دواوين الحكومة .. التى هى فى نفس الوقت تعمل فى حـــدود مصـــالح المستعمرين !!

وسمح لنا باقامة السكة الحديد واستعمال التليفون والبرق والصحف ، والمصارف والكبارى والبيوت البيضاء فى المدن ..

سمح لنا بذلك لا رغبة منه فى دفعنا الى حيث الحضارة .. بل ليستفيد هو من كل هذه الأشياء التى هى جزء مما وصل اليه التقدم الانسانى ..

فهو ــ الاستعمار ــ كان لا يستطيع أن يقيم بين ظهرانينا بلا قليل من النور .. يستغله فى قضـــاء مصالحه !!

فمثلا الترع والمصارف ، أنشئت فى مصر لكى تنتعش زراعة القطن فتنتج مصر حاجة مصانع النسيج فى لانكشير منه !

ويغض الاستعمار الطرف فى نفس الوقت عن انتشار

البلهارسيا بعد انشاء الترع والمصارف وفتكهـــا بالملايين من أبناء البلاد !

وأنشأ الاستعمار الخطوط الحديدية لكى تحمل القطارات البضاعة التي يأخذها منا وأيضا البضاعة التى يبيعها الينـــا ٠٠ وكذا فعـــل بكل ما نراه الآن فى بلاد المسلمين من آثار قليلة للحضارة لا تكاد تذكر !

كذا أقام المستشفيات أو سمح لنا بها فى حدود لا تتعدى علاج موظفى الدواوين ٠ والأيدى العاملة القليلة فى المدن والحكام !

والكهانة ماضية في التأكيد لنا ان المدنيـــة زيف ورجس عظيم ٠٠ والعلم من صنع الشيطان !

والاستعمار لا يجد أبرع من هذه الدعوة فيمواصلة استعبادنا ٠٠ وفى نفس الوقت يتقدم هو الى الامام ٠٠ الى أقصى قمم المدنية ٠٠ والعمران !

المدنية زيف ٠٠ الحضارة شر ٠٠ التقدم خروج على مشيئة رب العباد ٠٠ هذه هى دعوة الكهانة فى بلاد المسلمين ٠

كأن اكتشاف وسائل لعـــلاج الأوبئـــة والأمراض واختراع الكهرباء واقامة المصانع وتثقيف العقول وتنوير الأذهان جريمة تغضب رب العباد !

أى ان جهود العلماء والأدباء والفنانين والمفكرين

والموسيقيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التى أوصلت الحضارة هناك الى هذه القمة العالية كانت جريمة وسيساق ـ اذن ـ هؤلاء العلماء الذين صنعوا التقدم البشرى الى الجحيم ومعهم الأدباء والشعراء ··· فولتير الثائر الحر ··· وهوجو الداعى الى تخليص البؤساء ، و « بيرون » المغامر الذى ثار على مجتمعه الارستقراطى الرجعى وتولستوى وديستويفسكى الذين أشفقوا على العبيد والجياع والمحرومين وجيته العظيم كبير كتاب ألمانيا الذى أراد أن يشيع فى عصره انتفاضات الفكر والعلم والفن ··· وشوبان وبيتهوفن وتشايكوفسكى ، الكبار الذين حركوا قلوب البشر بعد الجمود ·· !

و « كلود برنارد » و « سيكار » الفرنسيان العالمان اللذان كشفا لنا سر الغدد فى الأجسام ··· و « بافلوف » الروسى وباستور الذى حقق معجزة الميكروب ، وكوخ ولافران وأرلخ الذين حددوا مكان الطفيليات باعثة الأوبئة ··· والبارع الماهر « سمبسون » الذى حول الجراحة من عمليات أشبه بعمليات الذبح فى السلخانات الى شىء بسيط يمكن أن يتم بعد تخدير المريض بالأثير والكلوروفورم فأنقذ البشرية من عذاب وألم كبيرين · !

هؤلاء قادة الحضارة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ارتكبوا اثما كبيرا ـ اذن ـ أغضبوا السماء وخرجوا على طاعة رب العباد باعتبار أن المدنية زيف وبهتان كما تقول الكهانة وكما يزعم تجار الدين والمشعوذون ·

فكيف كان ـ اذن ـ يمكننا نحن المسلمين أن ننهض ونحقق البعث الجديد فى ظل هذا التفكير الرجعى الذى لم يناد به القرآن ولم تقله لنا آياته البينات المليئة بالحق .. بل بالعدل .. بل بالحرية وبالدعوة الى العمـــران والعمل . !

وفى آياته تلك البينات تكمن الحقيقة الكبرى .. وهى اننا نحن المسلمين يمكن أن نستمد من قرآننا كل ما يدفعنا نحو الحياة .. نحو الحضارة ..

تجـــار الـــدين

كنت أعرف وأنا أواصل كتـــاباتى عن - البعث الجديد - أن المسألة قد تبلغ من الخطورة حدا يرغمنى على التفرغ لها ...

والأعمال كثيرة والمســئوليات ضـــــخمة والوقت محدود !!

اننى لم أكن أود - على الاطلاق - أن أتوقف عن الكتابة فى مسألة خطيرة كهذه تشغل أذهان الملايين فى بلاد المسلمين هنا فى الشرق وهنـــاك فى الغرب . لكن ظروف العمل المتشعب الأطراف ومسئولياته أرغمتنى على التوقف عند المقال التاسع ثم كان على أن أواصل الحديث بعد أيام لكن تلك الظروف والمســـئوليات أكلت وقتى كله ...

وبدأ الكثيرون يتساءلون :

لماذا توقف أنور السادات عن مواصلة حديثه الخطير !؟

والواقع أن عشرات الأسئلة كانت تترى وتملأ أذنى كل يوم ، وكنت أبتسم لغرابتها ثم كان على لكى أوقف سيل الأسئلة أن أستأنف الحديث عن البعث الجديد .. وعن مأساة المسلمين فى أفريقيا وفى آسيا وفى أوربا .. !!

وانى أرجو أن أجد من وقتى ما يحقق رغبة القراء فأتمكن من مواصلة هذا الحديث الطويل الخطير ..

وأود أن أستعرض ـ هنا ـ وفى سطور قليلة ما تضمنته مقالاتى ـ التسع ـ الماضية عن البعث الجديد

فقد بدأت حديثى بتلك الكلمات التى تدافعت فى رأسى كالموج المتلاطم وأنا أقف أمام قبر الرسول ... نبى الحق والعدل والعمل .

ثم مضيت أتساءل عن السبب فى مأساتنا فى بلاد المسلمين !؟

تساءلت عن جوعنا وعرينا ومرضنا ثم جهلنا . !؟

ولماذا لم يتعرض لهذه الكوارث المميتة سوانا ـ نحن المسلمين ـ !؟

ومضيت بالقارىء فى رحلة سريعة بين مجلدات

التاريخ من أيام عصر الاسلام الزاهى ـ فى القرن العاشر حتى الثالث عشر الميلادى ـ الى عصر الظلام والكهانة فى أوربا ..

ثم كيف كانت جهود العلماء العرب هى السبب فى تخليص أوربا من ظلامها وكهانتها !!

ثم كيف وقعنا ـ نحن المسلمين ـ بين مخالب الكهانة فقذف بنا تجار الدين الى هوة مظلمة بعيدة عن الحضارة التى صنعها أجدادنا .. وبعيدة عن المدنية .. وعن العلم والحق والعدل !!

وقد كنت أقرأ منذ أيام كتابا وضعه مستشرق من النمسا اسمه « ليوبولدفايس » اعتنق الاسلام فيما بعد وهو فى غمرة بحثه الطويل عن السبب فى مأساة المسلمين وأصبح اسمه « محمد أسد .. »

والكتاب عنوانه : الاسلام فى مفترق الطرق ..

وقد شعرت ـ وأنا أتصفح ذلك الكتاب ـ أن المسألة بالنسبة لنا نحن المسلمين ما دمنا نريد أن نحطم أغلال الكهانة ونقيم سدا منيعا يحمينا من الخطر الذى يهدد مستقبلنا ويعزلنا عن التطور والحضارة ويمنعنا من المساهمة مع البشر جميعا على اختلاف مذاهبهم

ودياناتهم فى اقامة دعائم عالم يسوده الأمن والحق والعدل والسلام ٠

٠٠٠ أقول ان المسألة ـ فى هذه الحالة ـ بالنسبة لنا هى أن نزيل تجار الدين من طريقنا ٠٠ ثم بعد ذلك لن تقف قوة أمامنا لتمنعنا من الانطلاق نحو أهدافنا ٠٠ نحو الحق والعدل والسلام ، وتلك أهداف محمد نبينا !!

ان ذلك المستشرق ليوبولد فايس أو محمد أسد المسلم العالم المتطور جاء من أوربا الى الشرق فى عام ١٩٢٢ ٠٠ وكان وقتها يعمل صحفيا وأوفدته بعض أمهات الصحف ليراسلها من أفريقيا ومن آسيا ٠٠ ومضى « ليوبولد » يتجول فى ربوع بلاد المسلمين ٠٠ وكان اهتمامه بتلك البلاد ـ فى بداية الأمر ـ لا يتعدى اهتمام رجل غريب ٠٠ ثم بعد أن مضى عليه بعض الوقت فى الشرق الاسلامى شعر أن أحاسيسه قد بدأت تنفعل بما يراه ٠٠

وهو يقول :

« لقد رأيت نظاما اجتماعيا ونظرة الى الحياة تختلف اختلافا أساسيا عما هو عليه الحال فى أوربا ٠٠ فنشأ فى نفسى ميل الى ادراك الحياة أكثر هدوءا أو بعبارة أخرى أكثر انسانية ٠ !! »

ويزور ليوبولد أفغانستان والحجاز وسوريا ويمضى يتنقل من بلد الى بلد وهو يدرس ويبحث مسقطا من حسابه

واجبه كصحفى ... ناسيا أن عمله الذى يرتزق منـــه يوشك أن يضيع ... كان قد بدأ يتأمل فى الحياة ٠

وهو عندما أعلن اسلامه كان يريد أن يواصـــل دراساته لهذا الدين الذى لم يسمع عنه أيام أن كان يعيش فى النمسا معزولا عن الشرق وفلسفته ٠٠ ولا شك أن اضطراب الأحوال فى أوربا فى ذلك الوقت قد دفع ذلك الشاب الى البحث عن حياة أكثر هدوءا وواقعية أو كمـــا يقول أكثر انسانية ، فمضى يواصل الليل بالنهار يدرس الحضارة العربية وفلسفة علماء العرب ٠٠ وحقيقة رسالة محمد بنظرة علمية تختلف اختلافا كليا عن نظرة تاجـر دين أو مشعوذ ٠

ويقول ليوبولد وهو يصف أحاسيسه بعـد أن بدأ يتأمل فى الحياة :

« لقد كونت رأيا ٠٠ وهو أنه فى الامكان تنظيـــم الحياة الانسانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلى ، ومع أكبر قدر ممكن من المشاعر الحقيقية » ٠

وعندما تمر الأعوام بالشاب « ليوبولد » الباحث عن حلول لمأساة البشر وهو يطوف بالشرق تروعـــه الحياة العفنة التى تعيشها الملايين فيقول :

« على أى حال ان الحياة الاسلامية فى الواقع ـ تبدو فى ايامنا هذه بعيدة جدا عن الامكانيات العظمى التى

تتضمنها تعاليم الاسلام ٠٠ فما كان فى الاسلام من تقدم وحيوية أصبح اليوم تراخيا وركودا ، وكل ما كان فى الاسلام من ايثار وكرم أصبح اليوم أنانية وعشقا للحياة الهنية ٠٠ أصبح ضيق نظر ٠٠ »

وهو يقرر فى كتابه الملىء بالتجارب والدراسات أن المجتمع الانسانى يخضع فى كل مكان لتغير أساسى ويختلف هذا التغير ـ كما يقول ليوبولد فايس ـ فى بلد عنه فى آخر ٠٠٠

وقد تخيل ـ ليوبولد ـ نفسه مسلما يعيش فى بلاد المسلمين وهو يقول ان تلك كانت تجربة عقلية بحتة ، فانه كلما ازداد فهما لتعاليم الاسلام ازداد رغبة فى التساؤل عما دفع اتباع محمد الى عدم تطبيق تعاليم ذلك النبى المناضل تطبيقا عمليا على الحياة الحقيقية ٠٠ أى على الواقع المسيطر على كل بلد والذى يختلف ـ قطعا ـ عنه فى بلد آخر ؟!

وقد ناقش ـ ليوبولد ـ هذه المسألة مع كثيرين من المفكرين المسلمين كما يقول من طرابلس الغرب الى هضبة « البامير » فى الهند ومن البوسفور الى بحر العرب ٠

وقد دفعته مناقشاته تلك مع هؤلاء المفكرين الى مضاعفة اهتمامه بالعالم الاسلامى من الناحية الثقافية ، وهو يقول بعد ذلك :

« عندما زادت رغبتى تلك واهتمامى أصبحت أتكلم الى المسلمين أنفسهم فأشفق على الاســــلام ـ وأنا غير المسلم ـ من اهمال المسلمين وتراخيهم » ٠

ثم عاد « ليوبولد » الى أوربا وهناك مضى يدرس ويبحث ويتأمل ٠٠ ثم عاد الى الشرق ليواصل دراساته ٠٠ ثم سافر الى الحجاز ونجد ليكمل تلك الدراسات ، كان لا يزال يبحث عن أسباب انحدار الشعوب الاسلامية الى تلك الهوة المظلمة حيث لا علم ٠٠ حيث لا حضارة٠٠ حيث لا حق ولا عدل ولا عمل !

ويقول ليوبولد بعد أبحاثه العديدة :

« ان هذه الدراسات والمقارنات قد خلقت فى نفسى عقيدة راسخة وهى أن الاسلام من وجهتيــه الروحيــة والاجتماعية ـ لا يزال بالرغم من جميع العقبــات التى خلقها المسلمون أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر ٠٠ لهذا اتجهت رغباتى كلها منذ ذلك الحين حول مســـألة بعثه من جديد » ٠

مسألة البعث الجديد ـ اذن ـ هى الطريق ٠٠ هى الطريق الذى يرى جميع المفكرين والثوار والمناضــلين ان مستقبلنا فيه ٠

وبلا بعث جديد يشمل كل بلاد المسلمين فى آسيا وفى افريقيا وفى كل مكان لن ننهض ولن نجد رزقا أو علما أو حقا أو عدلا !

فكيف يمكن أن يتم هذا البعث الجديد ·· كيف نصبح نحن المسلمين مثل غيرنا من البشر ·· نملك علما وحقا وعدلا ·· ونتحكم فى مصائرنا ونصنع حياة بهيجة لا يشوهها بطش أو قهر أو استبداد ·· كيف ؟!

كيف نمضى فى طريقنا مع البشر جميعا بلا تعصب وبلا أنانية وبلا وهم !؟

نحن لا نزعم ان الحق والعدل والعمل أهـــداف يجب أن ننالها نحن دون غيرنا ··

نحن لا ندعى أن من حق المســـلمين وحدهم أن يتحكموا فى العلم وفى المدنية ·· نحن لسنا متعصبين أو تجار دين أفاقين يزعمون أن الله قد أورثهم الأرض ومن عليها ·· نحن نؤمن بالانسانية كوحدة لا تتجزأ ونؤمن بمحمد الرسول الذى حدد لنا طريقنا ··

نحن نريد أن نساهم فى بناء العالم مع جميع البشر على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم وفلسفتهم ·· بلا حـــرب وبلا دمار وبلا معارك ··

فكيف نصنع هذا كله !؟

اننا أولا كمسلمين يتحتم علينا أن نعرف تراثنا ·· حتى نقيم أسس بعثنا الجديد على قواعد علمية وتاريخية

فهرس

- مشاعر ٧
- نجوى ١١
- كنا ... فأصبحنا ١٧
- الأمل ٢٧
- المعجــــزة (١) ٣٣
- المعجــــزة (٢) ٤٣
- بعث جــــديد ٥١
- أعظم الأعمال ٥٩
- الثقافة وسيلة والحضارة غاية ٦٧
- تجـــار الدين ٧٦

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٠٤٤

يتحتم علينا أن نعرف تراثنا .. حتى نقيم أسس بعثنا الجديد على قواعد علمية وتاريخية .

محمد أنور السادات

ص
١٠

لوحة للفنان محمود سعيد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب